مجلة إسلامية شاملة

الإسراء

تصدر عن دار الفتوى والبحوث الإسلامية

1429

في هذا العدد :

- أنت مقدسي
- يدور الزمان

الإسراء
العدد السادس والسبعون
محرم - صفر 1429 هـ
وفق كانون الثاني - شباط 2008 م

مجلة إسلامية شاملة

تصدر عن دار الفتوى والبحوث الإسلامية ـ القدس

العدد 76 محرم – صفر 1429 هـ وفق كانون ثاني – شباط 2008 م

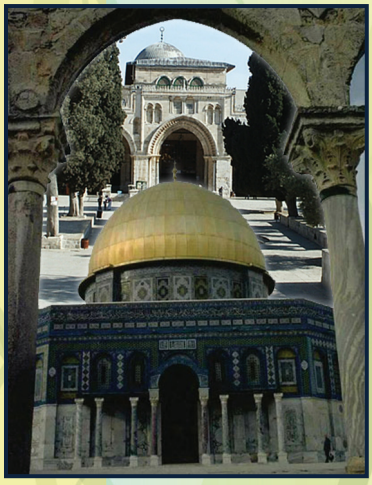

المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير

أ.يوسف تيسير محمود

هيئة التحرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

المراسلات : مجلة الإسراء ، دائرة الإعلام ، دار الفتوى والبحوث الإسلامية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darfatwa.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darfatwa.org

فهرس العدد

الموضوع	الكاتب	صفحة
إفتتاحية العدد		
أنة مقدسي	الشيخ محمد أحمد حسين	4
ملف العدد		
يدور الزمان	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	8
الهجرة النبوية : عبر وعظات	د.شفيق موسى عياش	17
الهجرة النبوية	الشيخ حسن أحمد جابر	21
فقه		
الضوابط الشرعية للصلة بين العلماء والولاة	الشيخ جمال بواطنة	24
تيسير الزواج في الإسلام	أ. كايد عودة براهمة	35
زاوية الفتاوى	الشيخ محمد أحمد حسين	42
قصيدة		
العام الجديد	أ.أبو النصر التميمي	46
بحث العدد		
أساس الخلاص في النية والإخلاص	الشيخ علي أحمد نمر مصلح	47
عقيدة		
الإيمان بالقدر	أ. صلاح الدين أبو جزر	67

فهرس العدد

الموضـــــــــوع	الكـــــــــاتب	صفحة
قصيدة		
نصرة النبي محمد ﷺ	الشاعر كمال مصطفى أبو هليل	72
من خطب المسجد الأقصى		
دروس من الهجرة النبوية الشريفة	الشيخ محمد أحمد حسين	75
علوم القرآن الكريم		
الوجه النحوي والإعجاز القرآني	أ. سلامة عودة	79
قصص		
نوح عليه السلام	الشيخ باسم تيسير محمود النعنع	83
تربية		
كيف نخرج من همومنا	أ. كمـــال بواطنة	91
طب		
التهاب الكبد الفيروسي	د.محمود صبيح	96
نشاطات وأخبار		
من نشاطات دور الفتوى	أ.عطا الله فلاحين	98
من أخبار مكتب المفتي العام	أ.مصطفى أعرج	104
مسابقة العدد	أسرة التحرير	110
مسك الختام		
الفجر الجديد	أ. يوسف تيسير محمود	112

إفتتاحية العدد

أنا مقدسي

بقلم : الشيخ محمد أحمد حسين / المشرف العام

في أواخر العام الماضي، قدر لي أن أحضر ملتقى القدس، الذي عقد في مدينة اسطنبول ـ إسلام بول ـ ما بين 5 ـ 7 ذو القعدة 1428هـ وفق 15ـ17 تشرين الثاني 2007م في تركيا، حيث تقاطرت أعداد كبيرة من الوفود ، والشخصيات العربية والإسلامية والعالمية للمشاركة في هذا الملتقى ، الذي عقد بهدف نصرة القدس التي تعاني من الاحتلال وحصاره وتدميره !.

ومن قلب القدس النابض ، من مسرى النبي محمد ﷺ، من المسجد الأقصى المبارك، وقبة الصخرة المشرفة، نبدأ للأهمية وتلافي الخطر الداهم ، بمناشدة قادة الأمة وشعوبها أن يبقوا القدس في عين رعايتهم واهتمامهم، حتى يعلم القاصي والداني أن المس بها أو بمقدساتها جريمة نكراء، تعتبرها الأمة بقادتها وشعوبها إعمالاً للمبضع في جسدها، مما يحرك مخزون قوتها للثأر لكرامتها المهدورة.

وإلى جانب الاهتمام المنشود بالقدس ومقدساتها من أبناء الأمة، لا بد لأهل القدس من وضع الأمة والعالم في الصورة الحقيقية لمعاناة مدينتهم، ليدركوا فظاعة كيد المتربصين بها وبأهلها وبمقدساتها. فالقدس تئن للقرح الذي أصابها باحتلالها عام 1967، وللأسف الشديد ما زال جرحها ينزف، وما زال الخطر يحدق بها، فالشجر والحجر والبشر في القدس مستهدفون بالاقتلاع والخراب والتدمير.

وحتى لا يدرج حديثنا هذا عن القدس ضمن قوائم الخُطب المفتعلة أو المبالغات الحماسية الإنشائية، نود أن نشير

إلى بعض الحقائق التي تدلل على حجم الخطب الذي ينتاب مدينة القدس ومقدساتها وأبناءها. فنبدأ من حيث يجب، نبدأ من المسرى المبارك، من المسجد الأقصى الذي باركه الله وبارك حوله، فالأمر جلل، والخطب عظيم، **حيث يتواصل النبش والحفر تحت أساسات بنيانه**، حتى أضحت جدرانه عائمةً فوق تلك الحفر التي آلت أنفاقاً تتلوها أنفاق، **بل إن الإعلام الغربي والصهيوني يتحدث عن شبه مدينة تحت المدينة القديمة في القدس**. وفي المرئي للعيان يجد المتابع عملاً دؤوباً لطمس معالم القدس ومقدساتها من قبل سلطات الاحتلال، **فطريق باب المغاربة مهددة بالإزالة** لإقامة جسر يربط هذا الباب من أبواب المسجد بما يعرف بباب الدباغين الذي فُتح في سور المدينة القديمة قرب باب المغاربة ، لأغراض لا تخفى على أحد، إنهم يريدون التسهيل على القادم الإسرائيلي لساحات المسجد، في إطار مخططهم للاستيلاء عليه وإقامة هيكلهم المزعوم مكانه. **وفي المقابل فإن سلطات الاحتلال تمنع وتعوق أعمال الصيانة والإعمار** التي تقوم بها ـ مشكورة ـ إدارة الأوقاف الإسلامية ولجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك في المسجد وساحاته، ويُسمح باليسير من المطلوب ويُعرقل الجم الغالب، والنزر اليسير الذي يرخص من أعمال الصيانة لا يتم إلا بعد إجراءات معقدة وطويلة المدى، وتحت مراقبة شديدة من شرطة المحتل، **أيصدق أن إدخال القليل من مواد الصيانة والإعمار لساحات المسجد جريمة يحاسب عليها قانون الاحتلال ؟!!** ويُتابع ذلك بصورة دقيقة عبر ساعات الليل والنهار، في إشارة لافتة للنظر، وكان آخر العهد بتلك العراقيل إعاقة تبليط الساحة التي تصل مبنى المسجد الأقصى المسقوف بباب الأسباط.

ويتعرض المسجد الأقصى لكيد من نوع آخر ، ذلك المتمثل بمنع إعماره بالمصلين، فكم هي كثيرة ومتكررة وشديدة تلك العراقيل التي تضعها سلطات الاحتلال بهدف حرمان المسجد الأقصى من عُمّاره، وحرمان المسلمين من الوصول إلى مسجدهم الذي يتطلعون للصلاة فيه، فأهل الضفة الغربية وقطاع غزة ممنوعون من دخول القدس إلا بموجب تصاريح تصدرها سلطات الاحتلال لأعداد قليلة جداً وضمن شروط قاسية ومذلة، حتى إن بعض سكان القدس يحرمون من دخول المسجد الأقصى ولو كانوا يسكنون إلى جواره، وذلك جراء أوامر إدارية أو قرارات تصدر بين الحين والآخر تُمنع بموجبها فئات عمرية معينة من دخول المسجد. و نقلت وسائل الإعلام المرئية مرارا وتكرارا صور أعداد كبيرة من المحرومين ، وهم يؤدون صلاة الجمعة في شوارع المدينة، وعلى الأبواب الخارجية للمسجد، وهو

يستوعب أضعاف أعدادهم لو دخلوه، و يجدر هنا التذكير بما أورده القرآن الكريم بحق مناع إعمار المساجد، والساعين في خرابها، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:114) ، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن الإجراءات التعسفية التي تتعرض لها مدينة القدس وأهلها إقامة العديد من المستوطنات حولها وداخلها، بهدف إحكام السيطرة عليها جغرافياً وديمغرافياً وعسكرياً. وينضم إلى المستوطنات في إحكام الطوق حول المدينة المقدسة ذلك الجدار العنصري العازل الذي أقامته سلطات الاحتلال حولها بقرار وتنفيذ أحادي الجانب، حيث تقبع القدس بمقدساتها في رقعة محوطة بسياج إسمنتي أدى إلى إحداث فصل عنصري للقدس عن محيطها الفلسطيني والعربي، وصودر لغايات بناء هذا الجدار المشؤوم مئات الدونمات من أملاك المواطنين الفلسطينيين القاطنين في المدن والقرى الفلسطينية المحيطة بمدينة القدس، **فأصبح المواطن العربي ممنوعاً من دخول القدس** والصلاة في مقدساتها سوى من بوابات ضخمة مجهزة بأحدث وأدق أجهزة الفحص الإلكترونية، وتقطعت أوصال بعض الأسر الفلسطينية وأملاكها داخل الجدار وخارجه، وللأسف الشديد أن كل هذا التجني والانتهاك يتم تحت مرأى ومسمع العالم، ولا يجد سوى شجبٍ على استحياء، هذا إن وجد الشجب في أحسن الظروف والأحوال.

إن سكان المدينة المقدسة يواجهون سياسة واضحة المعالم والأهداف من الطرف المحتل ، حيث الملاحقة بالضرائب الباهظة، وهدم المنازل، ومصادرة الأراضي، وسحب الهويات المقدسية، بقصد طمس الهوية العربية الفلسطينية للمدينة، من خلال الضغط على أهلها وإغرائهم بالهجرة منها .

فإجراءات ترخيص بناء المنازل معقدة أشد التعقيد وهي باهظة التكاليف،وطويلة المدى، مما يضطر بعضهم للبناء غير المرخص ومن ثم تلاحقه آليات الهدم لتهدم ما بناه مقابل أجرة يلزم بدفعها لاحقا ، وتأتي هذه الممارسات التعسفية تطبيقا لسياسة سلطات الاحتلال المبرمجة والمنهجة ضد مدينة القدس والأراضي الفلسطينية المحتلة والتي تسعى من ورائها إلى تهويد المدينة المقدسة وأسرلتها، ولا يخفى بأن

تلك السياسة الظالمة آتت بعض أكلها في ظل الصمت العربي والإسلامي والتواطؤ الدولي حيال تلك الممارسات ، بل إن كيان الاحتلال ينعم ببعض الرعاية لسياسته الخرقاء في كثير من الأحوال والأحيان، مما أدى إلى مضاعفة عدد المستوطنين اليهود في مدينة القدس مقابل تناقص عدد السكان العرب الفلسطينيين.

وترسيخا لهذه السياسة وبذرائع مختلفة تصادر سلطات الاحتلال آلاف الدونمات من أراضي القرى والمدن الفلسطينية وبخاصة تلك المجاورة لحدود القدس أو التي يخترقها جدار الفصل العنصري، في الوقت الذي يتم فيه توسعة المستوطنات الإسرائيلية وتسمينها في إطار سياسة تضييق الخناق والحصار على مراكز التجمعات الفلسطينية.

ومما يجب تأكيده لأبناء الأمة أن قضية القدس ليست بالقضية الشكلية التي يتساوى فيها الاهتمام وعدمه، وإنما هي قضية عقدية من منظور أبناء الأمة، فالقرآن الكريم ربط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام في حادثة الإسراء فقال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1).

والواجب يفرض أيضاً التذكير جهاراً لا همساً بأن هناك إهمالا ولا مبالاة تعاني منها القدس على أكثر من صعيد .

فالمقدسيون يتطلعون إلى زعماء الأمة ، وشعوبها، ومنظماتها، وقادة الرأي والفكر فيها، أن يقدموا ما يستطيعون لنصرة القدس، حينها ستكون القدس بخير، وستضمد جراحها وتلتئم.

فهم يأملون وحق لهم أن يأملوا أن يقدم لقدس العرب والمسلمين الدعم المادي والمعنوي والسياسي الموازي والمساوي للدعم الذي يسند به المحتل الرابض على أرضنا المقدسة ليعيث بها فساداً وخراباً.

سائلين الله العلي القدير أن يمن علينا بنصر من عنده، نبشر فيه بتحرير القدس من براثن الاحتلال البغيض.

بقلم : الشيخ ابراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

في الفاتح من محرم يبدأ عام هجري جديد، معلناً عن طي صفحة وفتح أخرى في سفر الزمان، والعيون ترنو لأن تكون الصفحة الجديدة مبهجة للصغير، ومفرحة للكبير، وباعثة روح الأمل في نفوس المستبشرين، وما ذلك على الله ببعيد.

الزمان والعام والأشهر والأيام في نصوص من السنة والقرآن

لقد حدد الله المدى الزمني للسنة الواحدة باثني عشر شهراً، فقال تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... ﴾ (التوبة:36)

وجعل سبحانه من السنة أشهراً حرماً، حدد عددها بأربعة، فقال تعالى : ﴿... مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ... ﴾ (التوبة:36)

وبين الرسول ﷺ عدد الأشهر الحرم وأسماءها ومواقعها، فعن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : "الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان". (صحيح البخاري ، حديث رقم، 2958)

وحرم سبحانه التلاعب في ترتيب الأشهر، فكان جهلاء العرب يقدمون ويؤخرون الأشهر، وبخاصة الحرم منها، موافقة لأهوائهم، فإذا أرادوا حرباً في شهر حرام نقلوا موقعه ليصبح في موقع حلال، بمعنى أنهم كانوا يتلاعبون في تحريك عجلة الزمن بأيديهم حسب وهمهم، فأنكر الله عليهم هذا الصنيع في معرض إثبات الترتيب الحقيقي لأشهر العام، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (1) (التوبة:37)

وشمل القرآن الكريم ذكراً منوعاً لأصناف من مواقيت الزمان، فذكر الفجر والصبح والضحى والعصر والعشاء والنهار والليل والصيف والشتاء ...

وذكر أياماً مميزة كيوم حنين ويوم الحصاد ويوم الظعن ويوم الإقامة ويوم الفرقان ويوم الحج ويوم الزينة واليوم العصيب واليوم المحيط واليوم العاصف ويوم الوقت المعلوم ...

هذا بالإضافة إلى ذكر اليوم الآخر بمسميات مختلفة كيوم القيامة ويوم الدين واليوم الآخر ويوم الحساب ...

وعندما يدور الزمان، يمر بالناس أشهر وأيام ميزها الله بخصائص عن غيرها، فشهر رمضان خصه الله بنزول القرآن الكريم وفرض الصيام، فقال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾ (البقرة:185) ، وجعل الله للحج أشهراً معلومات فقال تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ... ﴾ (البقرة:197) (2) ، والشهر يضم أسابيع، والأسبوع يشمل سبعة أيام، خص الله منها يوم الجمعة بالذكر، وميزه بصلاة عرفت باسمه، هي صلاة الجمعة التي تحتل وقت صلاة الظهر في سائر أيام الأسبوع، فقال تعالى في الجمعة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ .... ﴾ (الجمعة:9)

وذكر الله يوم السبت في سياق حديثه عن قيام بني إسرائيل بالتحايل على حـــكم الله فيهم بخصوص

هذا اليوم، فقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ ... ﴾ (الأعراف:163)

وخص الله من الليالي ليلة القدر، فجعلها خيراً من ألف شهر، وأنزل سورة قرآنية سميت باسمها، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾ (القدر: 1-3)

وذكر سبحانه مباركته لهذه الليلة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (الدخان:3)

تحريم سب الدهر

وتمنع شريعة الإسلام سب الزمان لأنه في ضوئها مقدس، لما ورد في الحديث القدسي الصحيح ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " **قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ؛ وَأَنَا الدَّهْرُ؛ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**" (صحيح البخاري، حديث رقم 4452)

أقوال في الوقت والأيام وقياس الأعمار

قيل لبعض الحكماء :اكتسب فلان مالا .فقال :هل اكتسب أياما ينفقه فيها؟! قالوا :لا. فقال: ما أراه اكتسب شيئا.

وقيل أن الأيام ثلاثة : أمس قد ذهب بما فيه، والغد: لعلك لا تدركه، واليوم الذي أنت فيه، فماذا أنت فاعل فيه.

وكان مالك بن دينار يقول : إن الليل والنهار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيهما.

وقال أبو الدرداء: ابن آدم، إطأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك. ابن آدم، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ ولدتك أمك.

وقال الحسن:ابن آدم، اليوم ضيفك، والضيف مرتحل بمدحك أو بذمك، وكذلك ليلتك.

وقيل : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

والأيام دول، يوم لك ويوم عليك. ولكل زمان دولة ورجال.

قياس عمر الإنسان عند بعض الناس

والإنسان يمر خلال العمر الذي يقضيه عبر بحر الزمان بمختلف الأحوال، فيتذوق حلو الأيـــــام ومرها، ويغادر الدنيا راحلاً تاركاً الدنيا لآخرين سيرحلون بدورهم عنها كما رحل، وينعى المتوفى من ذويه بأنه توفي عن عمر يناهز كذا وكذا، لكن بعض الناس يأبى أن يحسب فترة العمر كما يحسب الناس، وإنما يفضل طريقة أخرى في الحساب، كما ورد في قصة جبر؛ فحكي أن شخصا اسمه جبر قام بزيارة مقبرة في إحدى البلدان، ولاحظ ملاحظة غريبة، إذ وجد قبراً مكتوباً عليه عاش صاحبه ساعات محددة، وآخر مكتوب عليه عاش دقائق محددة، وهكذا، فسأل لماذا أعمار الناس هنا قصيرة جدا ؟!

فأجابوه أن الناس هنا يحسبون الأعمار حسب اللحظات السعيدة التي عاشها الفقيد في حياته.

فقال جبر : إذا مت أنا هنا ادفنوني، واكتبوا على قبري: "**جبر من بطن أمه إلى القبر**" !

حقيقة دوران الزمان

فسواء تعارف الناس على التوقيت بالقمري أو بالشمسي أم بغير ذلك، فإن العجلة تدور، والقطار منطلق في المسير لا يتوقف عند أفراح فلان، ولا عند أتراح علّان : ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران: 140)

فدوران الأيام حقيقة ، يتبادل الخلق فيها الأدوار، فاليوم هذا بطل منتعش بنشوة النصر، وخصمه مكتئب يتجرع مرارة الهزيمة. ويشهد واقع الخلق على تقلب الأحوال، وتغير المواقع، فحزين اليوم قد يصبح مبتهجاً في جولة الغد، والعكس صحيح، فكم من شخص كان القرار بيده، والصولة له، فكان هو صاحب الأمر والنهي، فإذا به في ضحى الزمان يتلقى الأمر ممن كان بالأمس القريب يستصرخه، أي أنه أصبح صاغراً لمن كان في سالف الزمان يبتهج لو قدر له أن يمسح حذاءه، أو لو حظي بأن يلقي نظرة على موكبه، أو حتى على مركبته واقفة أو متحركة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر يجدر تذكر ما حصل مع الرئيس الراحل صدام حسين وغيره من الزعماء، الذين شهدت مجريات حياتهم على مصداقية قاعدة وسنة تداول الأيام بين الناس.

وهكذا الأمم والشعوب، فالتاريخ قديمه وحديثه يشهد على تغير الأحوال، فهناك شعوب كانت مقهورة فإذا بها اليوم قاهرة، وهناك أمم كانت لا تغيب الشمس عن بقاعها ورقاعها، وإذا بها اليوم في

ذيل الركب، والزمان يدور ...

ونحن أمة الإسلام جزء من المعادلة، لكن الله تعالى طمأننا بالنتيجة والمآل، فهدأ من روعنا في موطن الجراح، وجدد لنا الوعد والعهد فقال تعالى: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ... ﴾ (آل عمران:140) .

وصور الله تعالى دوران الزمان وكأنه عملية سباحة يعوم الخلق بأنواعهم ومختلف صنوفهم ويغوصون ويبحرون في مياهها ، فقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء:33) ودوران الزمان في صورتيه الكمية والنوعية، إضافة إلى أنه آية دالة على عظمة الخالق سبحانه، فهو أيضا واعظ لمن تدبر فيه، فاليوم يمر نهاره وليله، والسنون تمر بحلوها ومرها، والعمر تمضي مراحله وأحواله، ويبقى الأثر الطيب والعمل الصالح .

مشاهدة تغاير الأحوال في دوران الزمان

فعام يمضى وآخر يأتى، وهكذا الزمان(3) يدور كالدولاب، تطلع شمس النهار، ويبدأ ليله بالمغيب، ويطوى يوم، ويبدأ جديد، والأيام حبلى، تحوي أحشاؤها الحدث المحزن، وخلافه السعيد، فهذا يولد وذاك يموت، وهذا يبكي، وقرينه يضحك، وهنا جراح، وهناك نصر وانتعاش. وغدا تتبدل الصور والأدوار، فتكون هنا أفراح وهناك أتراح. ويدور الزمان في صور يظهر في ملامحها أنا وأنت، ونحن وهم، وكل له موقع في صورة الكل.

شكوى الزمان

للناس حيال دوران الزمان مواقف؛ فمنهم الكيس المتعظ ، ومنهم السلبي المبتئس؛ فالذين يشكون الزمان بين الحين والآخر، يلقون عليه أسباب معاناتهم وتخلفهم وقصور همتهم، وأجاب الشاعر هؤلاء المشتكين، فقال :

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينـــا ... وما لزمانِنا عيبٌ سوانـــا

ونهجو ذا الزمانَ بغيرِ ذنبٍ ... ولو نطقَ الزمانُ بنا هَجَانا

فالأجدر بالناس أن ينقبوا في أنفسهم عن أسباب ما بهم من ضنك الحال، بدلاً من أن ينأوا بها عنهم، مستسهلين قذف الزمان بها.

تقلب الزمان

حدثتنا الآثار الشرعية عن تقلبات تحدث عبر الزمان، فتوعد الله الظالمين بيوم تشخص فيه الأبصـــار، بقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (إبراهيم:42)

وأشار ﷻ إلى تقلب الزمان بالإنسان في ثلاثة أيام تشهد أحداثاً فاصلة بالنسبة للإنسان، فذكر الولادة والموت والبعث فقال تعالى : ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم:15)

وتتبدل الأحوال بالناس عبر الزمان، ومن ذلك ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله : "**تصدقوا فسيأتي على الناس زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها**". (صحيح البخاري، حديث رقم 6587)

ومن صور تبدل الأحوال عبر الزمان، ما ورد عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **يَأْتِي زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ** (4) **مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ. ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ، فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ** (5)". (صحيح البخاري، حديث رقم 2682)

من أخبار آخر الزمان

أخبار آخر الزمان كثيرة، منها ما ورد في الحديث الشريف الذي يرويه أبو هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَمَا كَانَ مِنَ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ**" (صحيح البخاري، حديث رقم 6499)

وورد خبر آخر من أخبار آخر الزمان في الحديث الشريف الذي يرويه أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قَالَ: "**لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ؛ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ** (6)". (صحيح البخاري، حديث رقم 4830).

وفي رواية أخرى، عن أبي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : " **يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ. قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ**" (صحيح البخاري، حديث رقم 4827).

من أوصاف الناس آخر الزمان، ما ورد في حديث عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: "**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**". (صحيح البخاري، 4669)

وعن أبي سعيد وجابر بن عبد الله قالا :" **قال رسول الله ﷺ : يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده**". (صحيح البخاري، 5191)

الحذر من عواقب الزمان

بين القرآن الكريم في معرض التحذير أن تغيرات ستحدث في نظام الكون آخر الزمان، وسوف تنقلب المعايير عند حدوثها، من ذلك ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم:48)

ويأمرنا الله أن نتجهز بالتقوى وحسن العمل استعداداً ليوم الحساب، الذي تتعطل فيه الوساطات، فيقول ﷻ : ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة:48)

وإنفاق المرء في سبيل الله ينفعه حين ينقلب الزمان، وتتبدل المعايير والأوزان، قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (البقرة:254)

والإيمان هو أس الأعمال التي نتحصن بها ليوم تقلب الزمان، فيقول الله تعالى: ﴿...يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (الأنعام:158)

ومما جاءت به النصوص، وأكده الواقع المشاهد والمحسوس، أن تقلب الزمان بالمرء قد يقوده لخير أو شر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ". (صحيح مسلم، حديث رقم 4791)

مما يستدعي من المرء إبداء الحرص الدائم، واليقظة الدؤوبة، ليبقى على الصراط السوي، ومحصناً لتقلب الزمان، وحذراً من الوقوع في المزالق.

خاتمة

هذه بعض الدلالات والمؤشرات القرآنية والنبوية ذات الصلة بالزمان وأحواله، تم التذكير بها هنا بهدف التأكيد على أن الزمان يدور في فلك مقدر ومراقب من مقدر الأقدار ﷻ ، وكما قيل :" **دوام الحال من المحال**". وهذا يتوافق مع مفهوم قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران: 140) ويوافقه أيضاً قول: **الأيام دول يوم لك ويوم عليك**.

وبما أن أمة الإسلام تقع في دائرة الزمان المقدر، مثلها في ذلك مثل بقية الأمم، وعلى الرغم مما بها من جراح ومصاب، إلا أنه يجدر بها أن تحافظ على رباطة الجأش، وأن تُبقي الأمل بنصر الله نصب عينها، وهو قريب إن شاء الله، ويجب أن نراه كذلك حتى في أحلك الظروف، وأصعب الأوضاع، قال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: 214)

وأكد الله تعالى هذا الوعد في سورة الصف فقال تعالى : ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف:13)

واستجلاب النصر القريب يقتضي الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله، والتقوى أساس في ذلك، يقول الله تعالى : ﴿ . . . وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 223)

عسى الله أن يعجل بيوم نصر الإسلام والمسلمين، وأن يثبتنا على صراطه المستقيم، وأن يحفظنا من أن نزيغ عن هداه، وأن يلهمنا دوام الشكر على سراء الأيام، والصبر على ضرائها، وذلك من شيم الكرام الأخيار، جعلنا الله والقارئ الكريم منهم.

الهوامش :

1. النسيء هو التأخير لحرمة شهر إلى آخره .
2. الأشهر المعلومات هنا هي: شوال وذو القعدة وذو الحجة.
3. المراد بالزمان السنة، وهو اسم لقليل الوقت وكثيره.
4. بكسر الفاء ويجوز فتحها وبهمزة على التحتانية ويجوز تسهيلها أي جماعة.
5. يستفاد منه بطلان قول من ادعى في هذه الأعصار المتأخرة الصحبة لأن الخبر يتضمن استمرار الجهاد والبعوث إلى بلاد الكفار وأنهم يسألون : هل فيكم أحد من أصحابه ؟ فيقولون لا ، وكذلك في التابعين وفي أتباع التابعين. **(فتح الباري، باب علامات النبوة وفضائل الصحابة)**
6. الْقَيِّم الْوَاحِد: أَيْ الَّذِي يَقُوم بِأُمُورِهِنَّ ، وَيَحْتَمِل أَنْ يُكْنَى بِهِ عَنْ اِتِّبَاعهنَّ لَهُ لِطَلَبِ النِّكَاح حَلَالًا أَوْ حَرَامًا .

في بداية كل عام هجري تطل ذكرى الهجرة ونحتفل بها ونمجد ذكراها العطرة، ونقدس في ذلك عظمة الثبات على المبدأ، ونشيد بفوز الحق الذي كتب له الخلود، الحق الصابر على المحن والخطوب، الحق الممثل في محمد بن عبد الله ﷺ ، قال ﷻ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة التوبة.

حقاً إن قصة الهجرة هي قصة الإيمان التي خالطت بشاشتها القلوب، والعقيدة التي سيطرت على النفوس وغمرت المشاعر، حتى غدا المسلمون الأوائل يفتدون دينهم بأعز ما يملكون وأغلاه.

كان الناس قبل البعثة المحمدية في غفلتهم يتقلبون ولم يسطع نور الإسلام في قلوبهم، وعلى حسب أهوائهم وشهواتهم يتصرفون ويحيون، أصنام تعبد من دون الله ﷻ ، ودماء تراق وتزهق في سبيل الشيطان والعياذ بالله تعالى، أمم تائهة جائرة حائرة، وفوضى في الدين والأخلاق، وبينما الناس في هذه الحيرة هائمون ضالون مضلون انبثق من ضمير الوجود نور النبي ﷺ ، فأنقذ الناس من حيرتهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد الحي الذي لا يموت وهداهم إلى الصراط المستقيم، وربط قلوبهم ووصلها بالخالق العظيم فاطر السموات والأرض ودعا ربه ﷻ

قـــــائلاً : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ (سورة الإسراء).

فاستجاب الله سبحانه دعوته، وهيأ للإسلام الحنيف أن يشق طريقه ، وقام رسول الله ﷺ وصحابته يدعون إلى دين الله بين أقوام يتمسكون بالكفر ويعكفون على الأصنام، فانبرى لهم زعماء الشرك والكفر يقاومون دعوتهم الإسلامية، ويضطهدون من يعتنقها، فلاقى الرسول ﷺ من صلف الأعداء وكيدهم ما لاقى، وتحمل هو وأصحابه الأبرار من ظلمهم وقسوتهم ما تحملوا، ولكنه ﷺ صدع لأمر الله وأعلنها حرباً سافرة على الأوضاع الفاسدة والعقائد الزائفة، ولم يستسلم لغطرسة المشركين وعندما اشتد الأذى على القلة المؤمنة في مكة المكرمة، أمرهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى بلاد الحبشة والنزول بجوار ملكها النجاشي فأكرمهم وأحسن ضيافتهم وأنزلهم منزلاً كريماً، ثم اضطر المسلمون للذهاب إلى الحبشة مرة أخرى فراراً بدينهم، وهروباً من الفتنة والاضطهاد، فهجرته ﷺ وهجرة أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لم تكن رغبة في الحصول على ثروة مادية هائلة، ولم تكن طلباً لحياة هادئة وممتعة، وليست إيجاداً لفرصة انتقام تشفي الغليل من أولئك الذين كذبوا وأعرضوا وآذوا وفتنوا، بل كان الدعاء لهم بالهداية متواصلاً والرجاء في الدعوة إلى الحق غير منقطع " **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعملون** ".

كما أن الهجرة لم تكن إيثاراً لأرض خصبة على أرض قاحلة كما يستشف من هذا التوديع الذي ودّع به الرسول ﷺ مكة المكرمة بقوله :" **وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ** " سنن الترمذي، وإنما كانت الهجرة تأهباً لمجابهة متطلبات التغيير بالوسائل المكافئة وتحركاً لمواجهة الواقع، وسعياً في استبدال الشر بالذي هو خير، حتى تبنى الحياة على أسس من التعاون البناء لتكون ذات قيمة ومعنى، يحققون فيها أسمى المعاني الإنسانية من كرامة وحرية وعدل ومساواة، ويوفرون فيها الأمن نفسياً، واجتماعياً، واقتصادياً.

وعلى هذا لم تكن الهجرة بالأمر السهل، وليست مجرد خاطرة الفرار من الظلم ، وإنما هي مرحلة صعبة تتحمل أعباء مسؤوليات جسام، وعلى قدر عظمة الأمر تنظم الوسائل المؤدية إليه، والاهتمام بالأهداف، وما من أهداف تحققت ونالت مرادها إلا كان منهجها رسم بإحكام بالغ، وما من أهداف لم يكتب لها النجاح والفلاح إلا لأن منهجها مرتجل وفيه اضطراب.

لهذه الاعتبارات مجتمعة كان للهجرة تخطيط محكم إحكام الأهداف المعلقة عليها، وإن المهم في التخطيط المحكم هو ما يجنى من مكاسب جادة، وإن الإسراع والتسرع مدعاة للتغيير، وإن الاضطراب والارتجال في الأمور عرضة للأخطاء.

وعلى كل حال إن ما وقع للهجرة من تخطيط حسن، وما تم من التزامات فيها يجعلنا نذكرها، فنذكر البطولة والعبر والثبات ، ونذكر قوة الحق، وصلابة الإيمان، وشجاعة المسلم، وتمرده على الضيم والذل والباطل والشر، ونذكر التضحية الغالية بالنفس والمال والولد والأهل والعشيرة ؛ في سبيل انتصار دين الله وإعلاء كلمته وانتشار رسالة الإسلام، فيجب علينا أن نحس معاني الهجرة وآثارها في نفوسنا وقلوبنا ونستحضر عمل المهاجر المسلم العظيم سيدنا محمد ﷺ كيف كان وصحابته أشداء على الكفار، حرباً على الباطل وأنصاره وأعوانه، مجاهدين في سبيل الله متحملين للأذى، صابرين على البلاء، واثقين من نصر الله سبحانه ، وتأييده مستنيرين بقول الله ﷻ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ سورة المائدة.

فلنأخذ من الهجرة عبراً وعظات بأن نقوي إيماننا بالله تعالى ونتمسك بالإسلام قولاً وعملاً، ونبذل في سبيل نصرته كل غالٍ ونفيس، وأن نجعل محبة الله ورسوله مقدمة على محبتنا لأنفسنا وأموالنا وأهلنا، ولا نملك في إحيائنا لذكرى المصطفى ﷺ إلا أن نقف خاشعين أمام ذلك الإيمان الذي تسلح به المستضعفون؛ فثبتوا للعذاب والأذى وصبروا وصابروا ورابطوا واستهانوا بكل قوى الشر والطغيان؛ فتحملوا كل ابتلاء من أعدائهم، أعداء الدين فاستحقوا من الله سبحانه كل تكريم وثناء، قال تعالى:

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (سورة آل عمران:195) .

وكفى الصحابة فخراً واعتزازاً قول الله لهم: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ

ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (سورة آل عمران) .

والتاريخ سجل على صفحاته آيات جهادهم وبطولاتهم وما تميزوا به من اعتصام بالقرآن الكريم وتطبيق للإسلام واتباع دقيق لسنة النبي ﷺ.

ولا غرابة في ذلك فهم تلاميذ رسول الله ﷺ تربوا على يديه وتخرجوا من مدرسته الكبيرة التي قدمت للإنسانية جمعاء نماذج فذة من الأبطال والقادة والخلفاء والساسة والعلماء والحكماء حيث قال سبحانه وتعالى فيهم : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ (سورة البينة:8).

حقاً إن الهجرة النبوية الشريفة كفيلة بأن تحرك فينا دواعي الأمل وتملأ قلوبنا إيماناً ويقيناً وثقةً فيما عند الله ﷻ من جزاء للصابرين المرابطين المجاهدين.

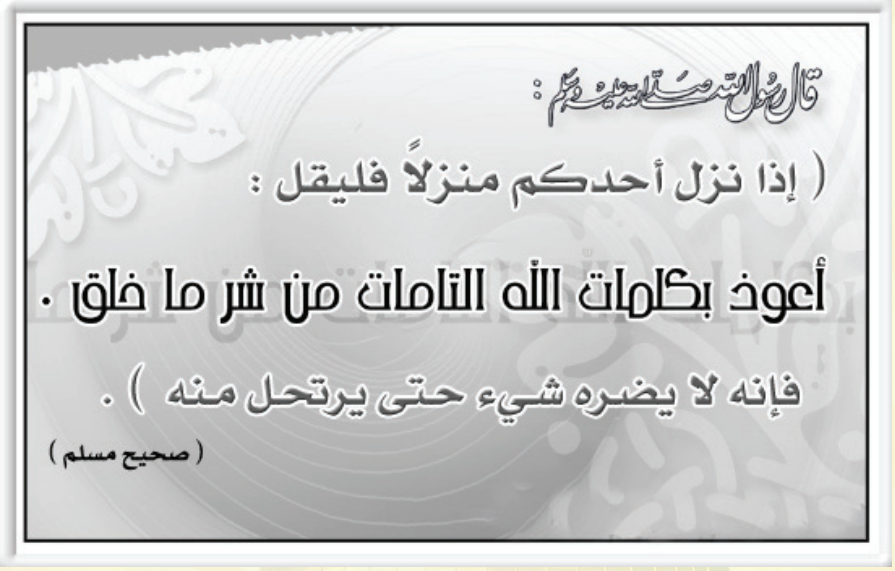

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الذي أوذي في سبيل الله وهو بمكة فصبر، وأمره الله بالهجرة إلى المدينة فهاجر وكافح في سبيل تمكين العقيدة ونشر دعوة الإسلام، فأيده الله بقوته ونصره على أعدائه فجاهد فى سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين وبعد : **أيها الأخوة إن في تاريخ الأمم والشعوب أحداثاً** ومواقف تطرأ عليها فيكون لها الأثر البالغ في تطور حياتها وازدهارها، وإن من أهم هذه الأحداث التي طرأت على هذه الأمة هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، حيث كانت فاتحة خير على الإسلام والمسلمين، ولسنا بصدد ذكر تاريخ هذه الهجرة؛ فهو معروف لكل مسلم، ولكننا بصدد أن نأخذ الدروس والعبر التي تستلهم من هذه الذكرى العطرة، فحينما اشتد إيذاء المشركين للنبي وصحبه الكرام، وأوقع المشركون بهم صنوفاً شتى من العذاب والأذى، حيث كان المشركون يلقون بسقط الجزور على النبي أثناء صلاته؛ فما يزيده إلا إيماناً وثقة بنصر الله، وكانوا يثيرون الشغب في مجالس صحابة رسول الله ﷺ ، فيستهزئون بهم ، وبما يقرأون من قرآن، جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾(فصلت:26)، حينئذ ارتفعت أصوات المسلمين مستغيثة برب الأرض والسماء قائلين ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا ﴾ (النساء:75)، وحينئذ أذن الله لنبيه وللمسلمين بالهجرة، فلما عرف المشركون بذلك اجتمعوا في دار الندوة لينفذوا مؤامراتهم الهادفة إلى قتل النبي ﷺ، ووأد الدعوة في مهدها، ولو تم للمشركين ما

أرادوا لقضي على هذه الدعوة ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (يوسف:21). فأين مكر القوم من مكر الله عز وجل، فحمى الله نبيهُ بعنايته، وحفظه برعايته، يقول الله في ذلك ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال:30)، فلما حاصر المشركون النبي خرج عليهم وهم نيام فعفرهم بالحصى فما أصابت أحداً منهم حصية إلا مات يوم بدر كافراً، فهذا الدرس العظيم من دروس الهجرة الشريفة نستلهمه في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ شعبنا فيزيدنا تمسكاً بأرضنا، والدفاع عن العرض والمقدسات، مؤمنين بوعد الله الذي وعده لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض يقول الله عز وجل مبشراً عباده المؤمنين ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ (غافر:51). والدرس الثاني من دروس الهجرة هو ما يعنينا في هذه الأيام من توجيهات النبي لأمته كيفية التشبث بالأرض، والدفاع عنها، وعدم التفريط فيها، فعندما خرج النبي ومعه أبو بكر الصديق وقف على أطراف مكة ونظر إليها والحزن يملأ قلبه لفراقها، قائلاً : (**علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت**) (مسند أحمد) ، ولكن ثقته بالله وتأييد الله للنبي وأنه سيرده ظافراً منتصراً كان أكبر مما يعتري النبي من حزن وهم، فخاطبه الله عز وجل قائلاً له ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (القصص:85). نذكر هذا الموقف الجلل الذي وقفه النبي متمسكاً بأرضه واثقاً بنصر الله فنزداد تمسكاً بأرضنا واثقين بنصر الله، مجددين العهد لشهدائنا وأسرانا بأننا سنمضي في الطريق الذي مضوا فيه ألا وهو طريق العزة والكرامة مدافعين عن مقدساتنا حتى تعود إلى أحضاننا وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . وأما الدرس الثالث الذي نستلهمه من هذه الذكرى، فهو رعاية الله للنبي وعنايته به فعندما حاصره المشركون في الغار أرسل الله جنداً من جنوده وهي الحمام والعنكبوت تعشش على فم الغار لتوهم المشركين بأن الغار ليس به أحد ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾ (المدثر:31) . فيصور الشاعر هذا الحدث الجليل في أعظم صورة فيقول:

فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما في الغار من ارم

عناية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عالٍ من الإطم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خـــير البرية لم تنسج ولم تحم

فأدبـــروا ووجوه الأرض تلعنهـم كبـــاطل من جلال الحق منهزم

فهذا خير دليل على أن الله عز وجل لا يترك عباده المؤمنين طرفة عين إذا هم فوضوا الأمر إليه، وأخذوا بأسباب النصر وتوكلوا عليه.

ودرس رابع من دروس الهجرة نستلهمه فى هذه الذكرى العطرة وهو التفاف المسلمين حول نبيهم وقائدهم وخوفهم على حياته ويتمثل ذلك في قول أبي بكر للنبي وهما في الغار والمشركون يحيطون بهما: (**لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**) (صحيح البخاري)، فنزل قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: 40) . أيها الأخوة نذكر هذا في هذه الأيام الدقيقة من تاريخ شعبنا، وما كان عليه النبي ﷺ من إصرار وعزم على التمسك بأرضه والدفاع عنها وثقته بنصر الله، فيزيدنا إصراراً على التشبث بأرضنا والتمسك بمقدساتنا وأن النصر آت لا ريب فيه، فحينما وصل النبي المدينة بعناية الله ورعايته من رحلته الشاقة التي تحمل فيها المشقة والعناء في سبيل توحيد كلمة الأمة ورفع راية التوحيد، وشكل ركائز الدولة الإسلامية . هذه الدولة المجاهدة المؤمنة التي نشرت أجنحتها في مشارق الأرض ومغاربها، وملأ نورها جميع بقاع الأرض، واستطاعت أن تقهر أعتى قوتين في العالم، وهما دولتا كسرى وقيصر وبذلك أعادت للعرب والمسلمين أمجادهم وعزتهم . فصاحب الذكرى ينادي العرب والمسلمين، يامسلمون تشبثوا بأرضكم وحافظوا على مقدساتكم، وأزيلوا آثار العدوان عن أرض العروبة والإسلام، يقول النبي ﷺ :(**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا**) (صحيح البخاري). وفى الختام نسأل الله العلي القدير أن يعيد علينا هذه الذكرى العطرة العام القادم، وقد تحقق لنا جميعاً ما نصبو إليه من آمال فى استخلاص حقوقنا وبناء صرح دولتنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف.

إنه على مايشاء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير

الضوابط الشرعية للصلة بين العلماء والولاة

بقلم : الشيخ جمال بواطنة / وزير الأوقاف والشؤون الدينية

صلاح الأمة بصلاح ولاتها وعلمائها :

إنّ صلاح أيّ مجتمع من المجتمعات الإسلامية إنّما هو مرهون بصلاح الولاة والعلماء ، وصلاح الولاة سبيله الاحتكام إلى الكتاب والسنة ، وجعلهما المصدر الوحيد في التحليل والتحريم ، وصلاح العلماء سبيله الدعوة إلى الكتاب والسنة ، ونبذ البدع التي حذّر منها الرسول ﷺ ، ولن يكتمل صلاح الولاة والعلماء إلا إذا كان أحد الصّنفين في عون الآخر ، فالحاكم وإن كان صالحاً قد تصيبه غفلة ، أو يغلب عليه الهوى ، فيحتاج إلى من يعظه ويذكره ، والعالم الداعية يحتاج إلى من يشدُّ من أزره، ويمنحه الدعم المادي والمعنوي ، ليمضي في طريق الدعوة بلا خوف أو وجل ، والله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ونظرة إلى تاريخ الدولة في عصر الصحابة ومن بعدهم خلفاء بني أمية وبني العباس والأيوبيين والعثمانيين وغيرهم تؤكد حقيقة قد يغفل عنها كثير من الولاة والدعاة ، وهي أنّ الدولة لم تصل إلى أوج قوتها من الناحية السياسية والعسكرية والاجتماعية والدعوية إلا عندما تولى أمرها ولاة مسلمون صالحون ، أحاط بهم علماء ودعاة صالحون ، وعندما كان يحدث الانفصام والانفصال بين الفئتين ، تنكمش الدولة سياسياً وعسكرياً ويصيبها الضّعف ثم الزوال، وكذلك يضمحل أمر الدعوة داخلياً وخارجياً ، ففي داخل الدولة تنتشر المعاصي والمنكرات ، وخارجها يتوقف أمر إيصال الدعوة إلى الأمم الأخرى ، وهذا ما يشير إليه قول الله عزّ وجل ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟

﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ (الحج:41) فالتمكين للدولة المسلمة مرتبط بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولن يتحقق ذلك إلا بوجود الولاة والعلماء من أهل الصلاح والتقوى .

فسبيل الإصلاح إنّما يتمثل في وجوب إعادة اللحمة بين هاتين الفئتين ، فئة الولاة ، وفئة العلماء ، ولهذا فإنّ مدّ أي جسر بين حكام الأمة وعلمائها الصالحين إنّما هو في صالح الأمة ، وأي نداء يدعو إلى قطع هذه الصلة بين الصنفين ، فأصحابه أحد اثنين : إمّا أن يكونوا من أعداء الإسلام الذين لا يريدون الخير لهذه الأمة ويدركون أهمية التعاون بين العلماء والأمراء فيسعون بكل قوة إلى هذا الانفصال والقطيعة عن مكرٍ وخبث شديدين ، وإما أن يكونوا من الجهلة الذين طغت عليهم الغفلة والضلالة ، وأقنعوا أنفسهم بالفصل بين الدين والدولة ، وقد يعود الأمر إلى تحليل خاطئ من بعض أدعياء العلم الشرعي وهو أنّ الحاكم ما دام لا يحكم بشرع الله وعنده مخالفات فيجب مقاطعته نهائياً ، وهذا الأمر في غاية الخطورة إذ أنّ الملل الأخرى تجد ضالتها في هذه القطيعة وتستفرد بولي الأمر وتطغى على تفكيره وتصرفاته ، وتحقق عن طريقه كلّ رغباتها ومصالحها .

ثناء الرسول ﷺ على الحاكم العادل والعالم الصالح :

لقد أثنى الرسول ﷺ على الحاكم والعالم إذا كانا صالحين في كثير من الأحاديث ، فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم : ((**إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزّ وجل ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**)) (1)

وروى مسلم أيضاً : ((**أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال**)) (2)

وفي الثناء على العلماء الصالحين روى الترمذي في حديث حسن صحيح عن أبي أمامة قال : ((**ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، ثم قال : إنّ الله وملائكته ، وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**)) (3)

وأثنى الرسول ﷺ على العلماء الصالحين والسلاطين المقسطين ، وجعل إكرامهم وتوقيرهم من إجلال الله تعالى ، ففي سنن أبي داود : ((**إنّ من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل**

القرآن غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط)) (4)

والعالم لا يكون صالحاً إلا إذا قرن العلم بالعمل ، وكان عمله موافقاً للكتاب والسنة ، ونوى به وجه الله تعالى ، ولهذا فقد حذر الرسول ﷺ من العلم الذي لا يبتغى به وجه الله تعالى، فقد روى أبو داود وابن ماجة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : ((**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ (ريح) الجنة يوم القيامة**)) (5)

وإذا كان الرسول ﷺ قد أثنى على الولاة الصالحين ، والعلماء المتقين العاملين ، فإنّه كذلك قد حضّ على تقوية العلاقة والصلة بين هذين الصنفين، فدعا الولاة إلى اتخاذ البطانة الصالحة ، ولعل خير بطانة صالحة هي بطانة العلماء والدعاة المخلصين الصادقين ، ففي سنن أبي داود والنسائي وصحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ((**إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذَكّره ، وإذا ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوءٍ إن نسي لم يُذكره ، وإن ذكر لم يُعنه**)) (6)

وروى البخاري عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : ((**ما بعث الله من نبيٍ ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم مَنْ عصم الله**)) (7)

والتعامل بين الأمراء والعلماء يجب أن يقوم على المحبة والوئام ، ففي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم**)) (8) فالمسلم عامة ، والعالم خاصّة يجب أن يحمل في قلبه محبة ولي الأمر ومودته ما دام متمسكاً بإسلامه ، وعليه أن ينزع الحقد والعداوة والبغضاء من قلبه ، وأن يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء لهم بالصلاح والهداية والاستقامة، وإن رأى فيهم تقصيراً أو خطأ، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام : ((**وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم**)) والصلاة ثناء ودعاء .

وكذا الإمام المسلم فإنّ من واجبه أن يحمل في قلبه كل مودة ومحبة لرعيته عامة وللعلماء الثقات الصالحين خاصّة ، ويثني عليهم بالثناء الطيب ، ويدعو لهم بالخير والصلاح والاستقامة ، فبهذه المحبة

المتبادلة تدوم الصلات الطيبة ، وبتلك المحبة الصادقة يسود الخير والعدل في المجتمع ، وبهذا الثناء والدعاء تبقى الصلة دائمة ، وببقاء ذلك يقوى المجتمع ويصلح حاله .

حكم اتصال العلماء والدعاة بالولاة :

أولاً : نظرة في محاولات الإصلاح :

لو تتبعنا محاولات الإصلاح التي حدثت في عصور التابعين بدءاً بعهد الدولة الأموية ، لأمكننا أن نلحظ أنَّ هناك طرقاً وسبلاً متعددة سلكها أصحابها بهدف إصلاح المجتمع المسلم ، فمنها ما هو مشروع آتى أكله، ومنها ما هو على خلاف منهج النبوة والسلف الصالح ، وإن تظاهر أصحابها بالدعوة إلى الإسلام ، ومنها ما هو مخالف للإسلام في أصوله وجزئياته ، ويمكن حصر هذه السبل والطرق في تيارات أربعة :

التيار الأول : ويمثله جمهور علماء السلف ، ويقوم منهجهم على محاولة إصلاح المجتمع المسلم عن طريق الدعوة بالكلمة الطيبة ، ويمكننا أن نجد مدرستين في داخل هذا التيار ، مدرسة كان تركيزها على الجانب العلمي ، وذلك بإقامة حلقات العلم في الفقه والحديث والأصول والتفسير وغيرها من العلوم ، كما نجد تلك الحلقات في كتب التراجم والسير لأكابر علماء السلف في مكة والمدينة ودمشق وبغداد وبخارى والقاهرة ، وغيرها من البلاد ، وسير الأئمة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري والليث بن سعد وسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك) وغيرهم خير شاهد على ذلك .

وأما المدرسة الثانية فكان اهتمامها منصباً على تزكية النفوس وتهذيبها ، وذلك في مواجهة الحياة المادية التي بدأت تظهر آثارها في حياة الكثير من أبناء المسلمين في تلك العصور ، ويمثل هذه المدرسة : الفضيل بن عياض ، عبد القادر الجيلاني ، أبي سليمان الداراني ، الجنيد ، وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم ممن كانوا على الطريقة الشرعية في تزكية النفوس وتهذيبها .

ولم يكن تأثير هاتين المدرستين من العلماء والدعاة خاصاً بفئة معينة داخل المجتمع المسلم ، إنما كان تأثيرهم مع تلامذتهم يتناول الأمة في مجموعها ، وذلك عن طريق المنابر الدعوية ، وعلى رأسها منابر المساجد .

ومما يؤكد هذا التأثير التفاف المسلمين حول علمائهم ودعاتهم في أماكن التجمعات العامة ، أو عندما يخرجون في تشييع جنازاتهم عند رحيلهم من دار الفناء .

ولقد كان منهج الإصلاح بالكلمة الطيبة منهج جمهور علماء السلف ، وبه حفظ الله تعالى هذا الدين، فكانت كل طبقة من طبقات التابعين تتسلم أمانة الدعوة فتنقلها إلى الطبقة التي تليها وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا مصداق قوله ﷺ : ((**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**)) (مسند أحمد) وطائفة الحق هي التي على منهج النبوة .

التيار الثاني : ويمثله بعض علماء السلف من التابعين الذين كانوا بطانة صالحة لبعض الخلفاء والولاة، وكان لهم تأثير كبير في إصلاح الأوضاع والأحوال من داخل الأسر الحاكمة ، ومن الشواهد على ذلك رجاء بن حيوة أحد علماء التابعين كانت بينه وبين الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك صحبة وصلة طيبة ، وقد الهم الله تعالى هذا العالم الرباني كيفية استغلال هذه الصلة بما يعود على الأمة بأكملها بالخير واليمن والتقدم والقوة ، فقد روى ابن الجوزي في كتابه (سيرة عمر بن عبد العزيز) ص : 37 عن رجاء بن حيوة قال : ((لمّا كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثيابه ، ونظر في المرآة فقال : أنا والله الملك الشاب ، فخرج إلى الصلاة يصلي بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك ـ أي مرض ـ فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب وهو غلام لم يبلغ ، فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ، إنّه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح، فقال : كتاب أستخير الله فيه ، وأنظر ولم أعزم عليه ، فمكث يوماً أو يومين ثم حرقه ، ثم دعاني فقال : ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب بقسطنطينة وأنت لا تدري أحيٌّ هو أم ميت ، قال : يا رجاء، فمن ترى ؟ فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أن أنظر من تذكره ، فقال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله فاضلاً خياراً مسلماً ، فقال الخليفة : هو والله على ذلك ، ثم كتب بيده: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا الكتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز : إني وليته الخلافة بعدي ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا)) (9)

فتأمل كيف كان لهذه المشورة الصادقة الأثر الطيب في حياة الأمة ككل ، وكيف أنّ الخير أصاب الصغير والكبير بفضل الله .

ولو نظرنا في سيرة عمر بن عبد العزيز لرأينا أنّ التفاف بعض العلماء الصالحين حوله ، كان سبباً في صلاحه وصلاح الرعية ، ذكر ابن الجوزي أنّ عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال : ((ابتليت بهذا الأمر فأشيروا عليّ ، فقال له سالم : إذا أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا ، وليكن إفطارك منها الموت ، وقال له محمد بن كعب: إذا أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك ولداً ، وقال له رجاء : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عزّ وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت)) (10)

التيار الثالث : وتمثله حركات المعارضة المسلحة ، وقد حاول أصحابها أن يصبغوها بالصبغة الإسلامية، وتكونت لديهم قناعة أنّ تغيير القادة إنّما يكون عن طريق المواجهة المسلحة ، ويأتي في مقدمة هذه الحركات الخوارج ، وكانت بداية بدعتهم التي جاءوا بها حين أعلنوا الخروج على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ ، ثم تتابع خروجهم في عهد الأمويين والعباسيين .

ولم تكن هذه المعارضة المسلحة قاصرةً على الخوارج ، بل شملت جماعات أخرى كخروج عبد الله بن حنظلة وعبد الله بن مطيع من المدينة على الخليفة يزيد بن معاوية ، وخروج عبد الرحمن بن الأشعث والقراء على الحجاج الثقفي .

فهل أثمرت هذه المعارضة المسلحة شيئاً ؟ لقد تركت مزيداً من الفتنة وأهدرت الدماء والأنفس والأعراض ، ولم تستطع أن تغير من واقع الأمر شيئاً .

التيار الرابع : وتمثله الحركات التي قامت في بلاد فارس ، وأعلنت الخروج على دولة الخلافة العباسية بالقوة المسلحة ، وسعت إلى تغيير القيادة تغييراً جذرياً ، وإحلال قيادة فارسية محلها ، ويأتي في مقدمة هذه الحركات : المقنعية والخرمية والراوندية ، وتقوم تلك الحركات على أساس من العقائد والمذاهب الفارسية الباطنية، ويجمعها الكفر والإلحاد والزندقة ، وكان هدفها تقويض دولة الخلافة الإسلامية بدوافع مذهبية باطنية ، وأحقاد شعوبية فارسية ، وكان مآلها بحمد الله إلى الفشل والزوال .

ثانياً : صور من سيرة السّلف الصالح :

لا يمكن حصر عدد من يتصل من أهل العلم والفضل بسلاطين قرن من القرون ، بل بسلاطين القرون في جميع الأرض ، ونحن نعلم علماً يقينياً أنه لا بدّ لكل ملك وإن كانت ولايته خاصة بمدينة من مدائن

الإسلام ، فضلاً عن كثير من الأقطار، أن يكون معه جماعة ممن يولون المناصب الدينية ، وإلا لم تستقم له ولاية ، ولا حصلت له طاعة ، ولا انعقدت له بيعة ، يعلم هذا كل عاقل من المسلمين فضلاً عن أهل العلم منهم (11)

فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

1ـ مالك بن أنس رحمه الله تعالى : ((كان الإمام مالك رحمه الله يغشى مجالس الخلفاء والولاة لا لغرض من أغراض الدنيا وإنّما لينصحهم أو ليرفع لهم بعض حوائج المسلمين ، دخل يوماً على الرشيد فحثه على مصالح المسلمين وقال له : لقد بلغني أنّ عمر رضي الله عنه كان في فضله وقدمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القدور حتى يخرج الدخان من لحيته ، وقد رضي الناس منكم بدون هذا .

ودخل على المهدي فقال له : أوصني ، فقال الإمام مالك : أوصيك بتقوى الله تعالى وحده ، والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه .

وكان الخليفة أبو جعفر المنصور يقول للإمام مالك : إن رابك ريب من عامل المدينة ، أو عامل مكة ، أو أحد من عمال الحجاز في ذاتك أو ذات غيرك ، أو سوء ، أو شر بالرعية ، فاكتب إليّ بذلك أُنزل بهم ما يستحقون .

ولما قدم المهدي المدينة جاءه الناس يسلمون عليه ، فلما أخذوا مجالسهم استأذن مالك ، فقال الناس: اليوم يجلس مالك آخر الناس ، فلما دنا ونظر إلى ازدحام الناس ، قال : يا أمير المؤمنين ، أين يجلس شيخك مالك ؟ فقال : عندي يا أبا عبد الله ، فتخطى الناس حتى وصل إليه ، فرفع المهدي ركبته اليمنى ، وأجلسه بجواره .

ولّما قيل للإمام مالك رحمه الله : إنك تدخل على السلاطين وهم يجورون ويظلمون؟ قال : رحمك الله وأين المتكلم بالحق .

وكان يقول : حقٌّ على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير ، وينهاه عن الشّر ، ويعظه حتى يتبين دخول العالم على غيره ؛ لأنّ العالم إنّما يدخل على السلطان لذلك ، فإذا كان فهو الفضل الذي ما بعده فضل .

وكان رحمه الله يقول : لولا أني آتيهم ما رأيت للنبي ﷺ في هذه المدينة سنة معمول بها)) (12)

2ـ **عطاء بن أبي رباح** : كان رحمه الله تعالى يدخل على الخلفاء لرفع حوائج المسلمين إليهم فمن ذلك: ((أنه قدم دمشق فدخل على هشام بن عبد الملك ، فلما رآه قام إليه حتى أجلسه على سريره، ومس بركبته ركبته ، فقال هشام : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أهل الحرمين ، أهل الله وجيران رسوله تقسم عليهم أرزاقهم وأعطياتهم ، فقال نعم ، يا غلام : اكتب لأهل مكة والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة ، ثم قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام ، ترد إليهم فضول صدقاتهم ، فقال : نعم، يا غلام أكتب بأن ترد إليهم فضول صدقاتهم ، ثم قال الخليفة : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال : نعم ، اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين ، واعلم أنك خُلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك .. لا والله ما معك ممن ترى أحد فأكب هشام ينكت في الأرض وهو يبكي)) (13)

3ـ **سفيان الثوري** : كان رحمه الله يكره الدخول على الخلفاء إلا أنه كان إذا دعاه الخليفة أو الوالي إلى مجلسه حضر فمن ذلك : ((أنه لما استخلف المهدي بعث إلى سليمان الثوري فلما دخل ، خلع المهدي خاتمه فرمى به إليه فقال : يا أبا عبد الله هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة ، فأخذ الخاتم بيده وقال : تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قال : لا تبعث إليّ حتى آتيك ولا تعطني شيئاً حتى أسألك)) (14)

ورب قائل يقول : ألم يكن في علماء السلف الصالح من كان يمتنع عن الدخول على الولاة بل يحذر من ذلك؟ نقول : نعم ، لقد وجد من علماء السلف من هم على ذلك ، وكان تبريرهم لذلك أنّ في الدخول على الولاة إعانة لهم على الظلم ، وعدم القدرة على الإنكار، بل السكوت عليه يضيف العديد من المفاسد إضافة إلى ما هو موجود أصلاً .

أمّا إذا وجدت الضوابط الشرعية ، وكان هناك مصلحة للمسلمين في الدخول فعند ذلك يكون الدخول واجباً في حق من يستطيع ذلك ، ومن أهم الضوابط الشرعية لدخول العلماء على الأمراء ما يأتي :

أ ـ أن لا يكون الغرض من الاتصال ومن الدخول شخصياً يسعى إليه العالم أو الداعية، كالوصول إلى الوجاهة وطلب الرياسة والسمعة ، وإصابة المغانم الدنيوية .

ب ـ الاستعانة بهم على دفع الظلم وتغيير المنكر ؛ لأنّ الله تعالى يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

ج ـ مناصحتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتذكيرهم بما عليهم من حقوق وواجبات ، مع مراعاة الآداب الشرعية ، وإنزالهم المنزلة التي يستحقونها ، والتزام الصدق في النصيحة ، والإخلاص في إيصال كلمة الحق إليهم .

د ـ وجوب بيان قاعدة تعامل العلماء والدعاة مع ولاة أمورهم ، وتقوم هذه القاعدة على الالتزام بجماعة المسلمين ، والمحافظة على مبدأ السمع والطاعة في المعروف ، والتمسك بالبيعة عملاً بسنة النبي ﷺ .

موقف الإمام الشوكاني من دخول العلماء على السلاطين:

قال رحمه الله : ((ولا يخفى على ذي عقل أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين عن مداخلة الملوك، لتعطلت الشريعة المطهرة ، لعدم وجود من يقوم بها ، وتبدلت المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام والمعاملة ، وعمّ الجهل وطمّ ، وخولفت أحكام الكتاب والسنة جهاراً ، واستبيحت الأموال ، واستحلت الفروج ، وعطلت المساجد والمدارس ، وانتهكت الحرمات وذهبت شعائر الإسلام)) (15)

ويرى الإمام الشوكاني أنّ البلاء والوزر الذي حدث في المجتمع الإسلامي سببه صنفان من الناس : صنف لا علم عنده يدخل على الولاة فينصحونهم ويعظونهم بغير علم ، وصنف آخر يتورع عن الدخول كذباً ونفاقاً ، ولو تهيأت له الفرصة لأسرع ، وسقط في الفتنة .

يقول رحمه الله : **الصنف الأول** : جماعة زهدوا بغير علم ، وعبدوا بغير فهم ، وتورعوا بغير إدراك للمصالح الشرعية والشعائر الإيمانية ، وما يفضي إلى تعطل الأحكام ، وذهاب غالب دين الإسلام ، فتصدوا للمواعظ والإرشاد للعباد ، وبايعوا في ذلك ومقصدهم حسن ، وصورة فعلهم جميلة ، ولكنهم لم يكن لهم من العلم ما يوردون الأشياء مواردها ، ويصدرونها مصادرها ، ولأمر ما كان كثير من السلف يمنعون الذين يقصون على الناس ، ويتصدون لوعظهم وتذكيرهم بما هم عليه من جهل بالشريعة ، وبما يرتكبونه من إيراد الأحاديث المكذوبة ، والقصص الباطلة ، وكان عليهم أن يقصروا عن ذلك ، ويكلوا ذلك إلى علماء الكتاب والسنة ، الذين يدعون الناس إلى حق هو معلوم لديهم ، وشرع هو صحيح عندهم .

والصنف الثاني : جماعة لهم شغلة بالعلم وأهلية له ، وأرادوا أن يكون لهم من المناصب الدينية التي قد صارت بيد غيرهم ما ينتفعون به في دنياهم ، فأعوزهم ذلك وعجزوا عنه ، فأظهروا الرغبة عنه ، وأنهم تركوه اختياراً ورغبة ، وتنزهاً عنه لما فيه من مداخلة الملوك ، وأخذ الأموال بالسحت ، وإعانة الظلمة ، ولا حامل لهم على ذلك إلا مجرد الحسد والبغي والتحسر على أن يكونوا مثلهم ، فوضعوا أنفسهم موضع أهل التعفف عن ذلك ، والتورع عنه بنيات فاسدة ، ومقاصد كاسدة ، مع ما في ذلك من الدخول في خصلة من خصال النفاق ، والوقوع في معرة بلية الرياء ، والولع بالغيبة المحرمة بغير سبب وبغير حق ، وأدخلوا أنفسهم في هذه المصائب والمثالب والمعاصي والمخازي والمآثم على علم منهم بتحريمها ، وقد عرفنا من هذا الصنف جماعات ، وانتهت أحوالهم إلى بليات ، وعرفنا منهم من ظفر بمنصب من المناصب فكان أشر أهل ذلك المنصب، وبلغ في التكالب على الحكام إلى أبلغ غاية ، ومنهم من جالس بعد مزيد من التعفف وكثرة التقاعس سلطاناً أو قريباً من سلطان أو صاحب سلطان فصار بطريقهم لا يستحل بعضه فضلاً عن كله من له وازع من دين بلا أدنى زاجر من عقل ، بل عرفنا منهم من صار نمّاماً وضعه من يتصل به لنقل أخبار الناس إليه ففعل.

وبالجملة ما جربنا واحداً من هذا الصنف إلا كشفت الأيام عن باطن مخالف لما كان يظهره ، وقول وفعل مناف لما كان يشتغل به أيام تعطله، فليأخذ المتحري لدينه حذره منهم ، ولا يركن عليهم في شيء من الأعمال الدينية كائناً ما كان (16)

الخلاصة :

يتبين في ضوء ما سبق أنّ اتصال العلماء والدعاة بالولاة والحكام ، الأصل فيه الإباحة ؛ لأنّ المسلم إذا كان واحداً في الرعية يجب أن يكون في عون إمامه وولي أمره في المعروف ، وكذا ولي الأمر يجب أن يكون في عون العالم والداعية إذا كان يدعو إلى الإصلاح بالكلمة الطيبة ، ويهتدي بهدي السلف الصالح في وجوب المحافظة على جماعة المسلمين ، ويصبح الاتصال محرماً إذا أدى إلى إعانته على ظلم ، ويصبح واجباً إذا رأى أنّ اتصاله بولي الأمر سيدفع ظلماً أو مفسدة ، ويحقق مصلحة دينية أو شرعية ، أو يكون سبباً في إنفاذ شرع الله وحكمه ، ولقد جاء في الأثر : إنّ الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ، وصنفان من الناس إذا صلحا صلحت الرعية ، وإذا فسدا فسدت الرعية ، العلماء والأمراء .

فائدة عظيمة : قال الإمام الشوكاني رحمه الله : ((والمتصل بالولاة من أهل المناصب الدينية قد يغضّ في بعض الأحوال عن شيء من المنكرات ، لا لرضاً به، بل لكونه اندفع بسعيه ما هو أعظم منه ، ولا يتم له ذلك إلا بعدم التشدد فيما هو دونه ، وهو يعلم أنه لو تشدد في ذلك الدون لوقع هو وذلك الذي هو أشد منه وأشنع وأفظع)) (18) .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع :

(1) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة .
(2) رياض الصالحين ، باب الوالي العادل .
(3) الترغيب والترهيب 3/165-166.
(4) الترغيب والترهيب 1/101.
(5) الترغيب والترهيب 1/113.
(6) الترغيب والترهيب 1/125.
(7) الترغيب والترهيب 3/219.
(8) الترغيب والترهيب 3/219.
(9) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة .
(10) سيرة عمر بن عبد العزيز ، ابن الجوزي ، دار الفكر ، ص 37.
(11) المرجع السابق ،ص8.
(12) رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين ، دار ابن حزم ، صنعاء ، ص85 .
(13) مالك بن أنس ، عبد الغني الدقر ، دار القلم ، دمشق ، ص345.
(14) صور من حياة التابعين 1/23-26.
(15) الحلية 7/40.
(16) رفع الأساطين ، ص74.
(17) رفع الأساطين ، ص75-76.
(18) المرجع السابق ، ص86.

الحمد لله الذي جعلنا نسير في طريق الهداية ، وأبعدنا عن ظلمة الغواية ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبى ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

أولاً : تعريف الزواج :

الزواج في اللغة العربية : اقتران الزوج بالزوجة ، أو الذكر بالأنثى (1).

أما الزواج اصطلاحاً : هو عقد يحل لكل من الزوجين الاستمتاع بصاحبه (2).

ثانياً : التيسير في الزواج :

إن علاج الإسلام للفطرة التي فطر الله - تعالى - الإنسان عليها لم يكن علاجاً وقائياً فقط ، بل كان علاجاً واقعياً ايجابياً ، وذلك من خلال تيسير أمر الإنسان لا تعسيره ، حيث نجد أن الآيات القرآنية ترشد أولياء الأمور أن يُسهموا مساهمة عملية في تيسير أمور النكاح ؛ وذلك لأن الزواج هو الطريق الطبيعي لمواجهة الميول الجنسية الفطرية ، وهو الغاية النظيفة لهذه الميول العميقة .

فيجب على أولياء الأمور إزالة العقبات من طريق الزواج ، لتجري الحياة على طبيعتها وبساطتها ، والعقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت وتحصين النفوس . ولأن الإسلام نظام متكامل فهو لا يفرض العفة إلا وقد هيأ لها أسبابها ، وجعلها ميسورة للأفراد الأسوياء ، فلا يلجأ إلى الفاحشة حينئذ إلا الذي يعدل عن الطريق النظيف الميسور عامداً غير مضطر .

لذلك يأمر الله - عز وجل - المسلمين أن يعينوا من يقف المال في طريقهم إلى النكاح الحلال ، قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ ﴾(3) .

وعلى ذلك إذا وجد بين المسلمين من يريد الزواج ولم يجد المال وجب على أوليائهم أن يعاونوهم ، وييسروا لهم أمر زواجهم ، ولعل من النماذج الواضحة في هذا الأمر قول الرجل الصالح لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَـٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ .... ﴾(4).

وكذلك سعى عمر بن الخطاب لتزويج ابنته حفصة حينما تأيمت من زوجها خنيس بن حذافة لوفاته، فعرضها على الصالحين من أصحابه لعله يجد منهم من يتزوجها ، فتزوجها رسول الله ﷺ .

ولم يزوج النبي ﷺ بناته على شيء كثير ، فاطمة بنت محمد ﷺ سيدة نساء العالمين ، تزوجت على ماذا ؟ على درع قدمها إليها علي بن أبي طالب ! وماذا تصنع فاطمة الزهراء بالدرع ؟ هل تحارب بها؟ إنها شيء رمزي .

وسعيد بن المسيب سيد التابعين وأفقههم ـكما يقول أحمد بن حنبل- ، يرفض أن يزوج ابنته من الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ويزوجها لأحد طلاب العلم في حلقته ، قال له : يا ابن أبي وداعة ، ماذا عندك ؟ قال : والله ما عندي إلا درهم ، قال : قد زوجتك ابنتي بدرهم !

زوج ابنته بدرهم ، لأنه كان يريد لها رجلاً صالحاً . لم يكن ا لناس يتباهون بما يتباهى به الناس الآن(5).

وليت الأمر يقف عند المهر وغلائه ؛ إنه في حاجة إلى هدايا وذهب (وشبكة) (وتلبيسة) ومصوغات تقدم ، معظمها أشياء لا تلبس ، لأنها بأحجام كبيرة ، وأوزان ثقيلة .ثم يأتي بعد ذلك الحفل والوليمة التي تقام للعرس ، وتأثيث البيت ، وبدعة جديدة اخترعها الناس بعد الزواج : ما سموه (شهر العسل) والسفر إلى الخارج ، وهذا كله يخالف ما ورد في سيرة النبي ﷺ وصحابته والسلف الصالح من بعدهم.

وهناك بعض العائلات تُلبس العروس فستان الفرح الذي تسحبه وراءها بطول ثلاثة أمتار تقريباً ، كما يدفعون الأموال للمطربات في الزفاف ، وإقامة الحفلات في الفنادق.

فالسنة أن تغطي المرأة ثوبها شبراً ، ولا تزيد على ذراع لأجل الستر وعدم إظهار القدمين ، وأما الزيادة على ذراع فمنكر للعروس أو غيرها لا يجوز ، وهذا إضاعة للأموال بغير حق في الملابس ذات الأثمان الغالية ، فينبغي التوسط في الملابس ، لا حاجة لترصيعها بأشياء تهدر الأموال العظيمة ، التي تنفع الأمة في دينها ودنياها ، أما ما يتعلق بالمطربات فلا يجوز إحضارهن بالأموال الغالية ، أما المغنية التي تغني غناءً معتاداً بسيطاً خفيفاً في وقت من الليل لإظهار الفرح فجائز ، بل مستحب إذا كان لا يفضي إلى شر، لكن بين النساء خاصة في وقت من الليل ثم بغير سهر أو مكبر صوت ، بل الأغاني التي بها مدح للعروس ، ومدح للزوج بالحق ، أو أهل العروس ، أو ما أشبه ذلك من الكلمات التي ليس فيها شر ، ويكون بين النساء خاصة ليس معهن أحد من الرجال ، ويكون بغير مكبر للصوت ، هذا لا بأس به كالعادة المتبعة في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة الكرام ، أما التفاخر بالمطربات وبالأموال الجزيلة لهن فهذا منكر لا يجوز ، وهكذا المكبرات ؛ لأنه يحصل بها إيذاء للناس ، والسهر بالليل حتى تضيع صلاة الفجر وهذا منكر يجب تركه.

أما إقامة الحفلات في الفنادق ففيها أخطاء ومؤاخذات متعددة منها :

1- أن بها - في الغالب - إسرافاً وزيادة لا حاجة إليها .
2- أن ذلك يقضي إلى التكلف في اتخاذ الولائم في الفنادق والزيادة في حضور من لاحاجة إليه .
3- أنه قد يؤدي إلى الاختلاط بين الرجال والنساء في الفندق وغيره ، فيكون هذا الإختلاط مشيناً منكراً.

والأولى أن تمنع رفقاً بالناس وحرصاً على الاقتصاد وعدم الإسراف والتبذير ، وحتى يتمكن المتوسطون في الدخل من الزواج وعدم التكلف ؛ لأنه إذا رأى ابن عمه أو قريبه يتكلف في الفنادق وفي الولائم الكبيرة، إما أن يماثله ويشابهه فيتكلف الديون والنفقات الباهظة ، وإما أن يتأخر ويتقاعس عن الزواج خوفاً من هذه التكلفة ، فنصيحتي لإخواني المسلمين جميعاً ألا يقيموا حفلاتهم الزوجية في الفنادق ، وألا يقيموها في صالات الأفراح الغالية ، إنما في صالة نفقتها قليلة ، وعدم إقامتها في صالات الأفراح وإقامتها في البيت أولى، في بيت أقاربه إذا أمكن ذلك(7).

ثالثاً : فوائد الزواج :

إن للزواج فوائد كثيرة ، أذكر منها :

1- إمتثال أمر الله تعالى .

2- إتباع سنة النبي ﷺ والإقتداء بهدي المرسلين .

3- كسر الشهوة وغض البصر.

4- تحصين الفرج و إعفاف النساء .

5- عدم ذيوع الفاحشة في المسلمين .

6- تكثير النسل الذي به تتم مباهاة النبي ﷺ لسائر الأنبياء والأمم .

7- تحصيل الأجر من الجماع في الحلال .

8- حب من أحبه رسول الله ﷺ القائل : (**حبّب إليّ من دنياكم الطيب والنساء**...)(8).

9- إيجاد الولد الذي ينتفع – بعد الموت- بدعائه .

10- الانتفاع بشفاعة الولدان في دخول الجنة ، فعن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (يقال للولدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة ، قال: فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا ، قال ، فيأتون ، قال : فيقول الله عز وجل : (مالي أراهم محبنطئين (أي ممتنعين) ادخلوا الجنة) قال : فيقولون : يا رب آباؤنا وأمهاتنا ، قال : فيقول : (ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم)) (9).

11- إيجاد الذرية المؤمنة التي تذب عن ديار المسلمين وتستغفر للمؤمنين.

12- ما في الزواج من سكينة ومودة ورحمة بين الزوجين ، وغير ذلك من المنافع التي لا يعلمها إلا الله ﷻ .

13- تعاون كل من الزوجين في تربية النسل والمحافظة على حياته .

14- تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من تبادل الحقوق والتعاون المثمر في دائرة المودة والمحبة والاحترام والتقدير.

رابعاً : حكم الزواج :

النكاح مشروع بقوله تعالى : ﴿ .. فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ... ﴾ (11).

بيد أنه يجب على من قدر على مؤونته ، وخاف على نفسه من الوقوع في الحرام ، ويسن لمن قدر عليه ولم يخف العنت ، لقوله ﷺ : (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج**) (12) ، وقوله ﷺ : (**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**) (13).

خامساً : أركان النكاح :

يلزم لصحة النكاح توافر أربعة أركان ، وهي :

1- **الولي** : وهو أبو الزوجة ، أو الوصي ، أو الأقرب فالأقرب من عصبتها أو ذو الرأي من أهلها أو السلطان ، لقوله ﷺ : (**لا نكاح إلا بولي**) (14).

2- **الشاهدان** : والمراد بالشاهدين أن يحضر العقد اثنان من الرجال العدول المسلمين ، لقوله ﷺ : (**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**) (16) .

3- **صيغة العقد** : وصيغة العقد هو قول الزوج أو وكيله في العقد : زوجني ابنتك أو وصيتك فلانة ... وقول الولي:لقد زوجتك أو أنكحتك ابنتي فلانة ... وقول الزوج : قبلت زواجها لنفسي .

4- **المهر** : والمراد بالمهر أو الصداق هو ما تعطاه المرأة لحلية الاستمتاع بها ، وهو واجب ، بقوله تعالى :﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً .. ﴾ (17) ، وقول الرسول ﷺ : (**إلتمس ولو خاتماً من حديد**) (18) .

سادسا : آداب النكاح وسننه :

1- **الخطبة** : وهي أن يقول : ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم قال ﷺ : (**إذا أراد أحدكم أن يخطب لحاجة من نكاح أو غيره فليقل الحمد لله** ...الخ) (19) .

2- **الوليمة** : لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف لما تزوج : (**أولم ولو بشاة**) (20).

3- إعلان النكاح بدف أو غناء مباح ، لقوله ﷺ : ((**فصل ما بين الحلال والحرام الدف للصوت**))(21).

4- الدعاء للزوجين ، لقول أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال للمتزوج : (**بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما في الخير**)(22) .

5- أن يدخل بها في شوال ، لقول عائشة رضي الله عنها : (تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى بي في شوال ، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني؟ كانت تستحث أن يدخل نساؤها في شوال) (23) .

6- إذا دخل على زوجته أخذ بناصيتها ، وقال : (اللهم إني اسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما جبلتها عليه) (24) .

7- يقول عند إرادة الجماع : "بسم الله ، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا" ، لما روي عنه ﷺ أنه قال : (من قال الخ ... فإن قدر بينهما في ذلك ولد لن يضر ذلك الولد الشيطان أبداً) (25) .

8- يكره للزوجين إفشاء ما جرى بينهما من أحاديث الجماع ، لقوله ﷺ : (إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ، ثم ينشر سرهما) (26).

الخاتـــمـــة :

لقد شرع الله -تعالى- لعباده تخفيف المهور والاقتصاد فيها ؛ ليحصل بذلك التعاون على الخير وبذل المستطاع في إعفاف الشباب والفتيات .

ومن واجبنا أداء النصيحة في هذا الموضوع للترغيب في تخفيف المهور وعدم التكلف في الولائم ، وترغيب المجتمع في كل ما يسهل على الشباب حصول النكاح .

وإني في هذه المناسبة أوصي جميع إخوتي المسلمين بالتعاون في هذا الأمر والتواصي به حتى يكثر النكاح ويقل السفاح ويتيسر للشباب والفتيات إحصان فروجهم وغض أبصارهم ، ولا شك أن الزواج من أعظم الأسباب في ذلك .

ومن الفوائد المرجوة في تخفيف المهور والولائم كثرة النكاح وقلة العزاب من الشباب والفتيات وقلة الفواحش وتكثير الأمة .

كما لا بد أن يعلم الناكح أن قلة المال لا يصح أن تصرفه عن الشروع في الزواج ؛ لأنه يؤمن أن الرزق بيد الله ، وأنه - سبحانه - تكفل بإغنائه إن أراد العفاف ، قال رسول الله ﷺ: (**ثلاثة حق على**

الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف) (27)، وقال ﷺ : (**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة**) (28) .

المراجع

1- المعجم الوسيط : (405/1) .
2- منها المسلم ، لأبي بكر الجزائري ، مكتبة الإيمان بالمنصورة : ص(307) .
3- سورة النور ، الآية : (32) .
4- سورة القصص : الآية (27) .
5- خطب الشيخ القرضاوي ، د.يوسف القرضاوي ، الطبعة الثانية(1417هـ1997م) ، الناشر مكتبة وهبة:ص(120).
6- تفسير القرآن العظيم للنساء ، تحقيق عماد زكي البارودي ، المكتبة التوقيفية القاهرة ، الطبعة الأولى:ص(433).
7- فتاوى المرأة المسلمة ، جمع وترتيب السيد بن احمد أبو يوسف ، مكتبة الإيمان بالمنصورة:ص(398-400).
8- أخرجه الترمذي (1655) ، والنسائي (61/6) من حديث أبي هريرة ، والحديث حسنه الألباني في صحيح سنن النسائي .
9- أخرجه النسائي (61/7) ، واحمد(285/3) وغيرهما .
10- صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة ، أعده أبو مالك كمال بن السيد سالم ، المكتبة التوقيفية ، القاهرة ، الطبعة الأولى :ص(73-74) .
11- سورة النساء ، الآية : (3) .
12- رواه احمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح .
13- حديث حسن ، أخرجه احمد : (105/4) .
14- متفق عليه .
15- أخرجه احمد وابن حبان وصححه .
16- رواه أصحاب السنن وصححه الحاكم وابن حبان .
17- رواه مالك في الموطأ بسند صحيح .
18- رواه البيهقي والدار قطني ، و هو معلول ، ورواه الشافعي من طريق آخر مرسلاً ، وقال فيه:أكثر أهل العلم يقولون به، وكذا قال الترمذي .
19- سورة النساء ، الآية : (4) .
20- متفق عليه .
21- رواه مسلم .
22- رواه الترمذي وصححه .
23- رواه مسلم .
24- رواه مسلم .
25- رواه ابن ماجة وأبو داود بمعناه ، وهو صحيح .
26- متفق عليه .
27- رواه احمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح .
28- حديث ، حسن أخرجه احمد :(105/4) .

سؤال: هل يجوز صرف زكاة المال للطالب الفقير ؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

الأخ السائل الكريم :

فبالإشارة إلى سؤالكم المثبت نصه أعلاه فإن الفقراء أحد أصناف مصارف الزكاة الذين ذكرهم الله بقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (التوبة:60) .

والطالب الفقير بالإضافة إلى أنه مستحق للزكاة لفقره ، فهو أيضا جدير بالعون كونه طالب علم ، فمساعدته قربة من القربات ووجه من وجوه الفضل والخير، ولكن يشترط فقره وحاجته لمساعدته من أموال الزكاة .

والله تعالى أعلم وهو سبحانه ولي السداد والتوفيق

==========

سؤال: أديت الحج في عام 1979م وكنت متمتعة ، حيث أديت العمرة على طهارة ثم انتابني ما ينتاب النساء وكنت في ذلك الوقت في (الأربعين) من عمري ، وطفت طواف الحج (الإفاضة) قبل أن تنقضي أيام الدورة ، واطلب من فضيلتكم النظر في وضعي ، لأني اشك في ركن من أركان الحج ؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

الأخت السائلة الكريمة :

بعد الإطلاع على سؤالك المثبت نصه أعلاه ، فأبين أن طواف الإفاضة ركن من أركان الحج ، وهو لا يصح إلا بالطهارة الكاملة عند مالك والشافعي من الفقهاء، حيث قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس:" **افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري**"(رواه مسلم، حديث رقم 2115).

فإن كنت قد رجعت من الحج عام 1979م وأنت متأكدة أنك لم تقومي بأداء طواف الإفاضة وأنت على طهارة كاملة ، ولم يكتب لك العودة بعد ذلك لأداء الحج مرة أخرى ، فعليك قضاء ذلك الحج لأنه لم يكن صحيحا ، على الرأي الذي نأخذ به .

هذا والله يقول الحق وهو يهدي إلى سواء السبيل

==========

سؤال: نرجو التكرم بإبداء الرأي الشرعي في رغبة إحدى المؤسسات باستثمار أموال صندوق تقاعد موظفيها بشراء أسهم في شركة صرحت في إعلانها عن الاكتتاب العام أن غايتها الاستثمار بوسائل خالية كلياً من الربا ومن أي محظور شرعي وأن عملها مقيد بأحكام الشريعة الإسلامية؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

الأخوة السائلون :

فبالإشارة إلى سؤالكم المثبت نصه أعلاه فإن استثمار أموال صندوق التقاعد لموظفي مؤسستكم أمر جائز إن تم في مشاريع مشروعة خالية من الربا والغش وبقية المحظورات الشرعية، لقوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾(البقرة:275) .

أما بالنسبة لاستثمار تلك الأموال عن طريق شراء أسهم في الشركة التي صرحت بأن تعاملها سيكون مطابقاً لأحكام الشريعة؛ فإن الأمر يبقى موقوفاً على حقيقة ما تمارسه الشركة المذكورة من أعمال في

الواقع، وهذا يستدعي الاطلاع على قانون تلك الشركة وتفاصيل أعمالها، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: 36).

والله تعالى أعلم وهو سبحانه ولي السداد والتوفيق

==========

سؤال: لقد قمت بفتح مكتب سياحة وسفر، وبعد تجهيزه وإحضار الأوراق والإجراءات كافة، طلب مني كفالة بنكية بقيمة 7500دينار أردني، ولقد ذهبت إلى بنوك عدة، ولكن طلبوا مني دفع قيمة الكفالة كاملة سلفاً، وحيث إنني لا أملك هذا المبلغ وسمعت عن بعض المؤسسات الأهلية التي تعطي قروضاً، فذهبت إلى إحداها ووعدوني بالمبلغ المطلوب ولكن بفائدة 1٪ شهرياً، على أن أسدد المبلغ خلال سنة من تاريخه، أريد الفتوى في هذا الأمر . سدد الله خطاكم وهدانا وإياكم إلى سواء السبيل؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

الأخ السائل الكريم :

بالإشارة إلى سؤالكم المتعلق بحكم أخذك لمبلغ على شكل قرض وسداده خلال سنة بفائدة 1٪ شهرياً، أقول وبالله التوفيق: إن اقتراض مبلغ مع الالتزام بزيادة عليه عند السداد هو عين الربا الذي حرمه الله تعالى بقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ (البقرة:275) ، ويقول ﷺ :" **كل قرض جر نفعاً فهو ربا**" (رواه البخاري)، ويشمل هذا كل قرض بغض النظر عن نسبة الزيادة أو كثرتها، وإنّ من غير المقبول شرعاً أن يسمى الربا فائدة والله تعالى يقول: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة:276)، لذا فإنّ هذا القرض الذي تريد أخذه بالصورة التي ذكرت محرّم شرعاً، والله تعالى أعلم.

وبالله التوفيق والله نسأل أن يصلح حال جميع المسلمين

سؤال: قلت لزوجتي على الهاتف " أنت طالق " ولم أكن ناوياً الطلاق ، ولم اكن مسيطراً على أعصابي من شدة الغضب ، لأن زوجتي لم ترد على الهاتف ، وقلت لها اذا رأيتك عند دار أبي تكونين طالقاً ، وفعلاً رأيتها هناك ، ولم تكن نيتي الطلاق، وبعد ذلك رأيتها عند دار أبي فقلت لها وأنا في حالة غضب شديد أنت طالق ، ولم أكن ناوياً الطلاق ولم أكن مالكاً لأعصابي ولم أطلق غير ذلك.

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين ، وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد .

الأخ السائل الكريم :

بالإشارة إلى سؤالك المثبت أعلاه فأبين أنه اذا كان واقع الحال كما تقول ، فإن طلاقك الأول والثالث في هذه الحالة غير واقع لكونه وقع وأنت في حالة من الغضب الشديد الذي أفقدك صوابك ، ولم تكن مدركاً لما تقول كما ذكرت في سؤالك، أما الطلاق الثاني فهو يجري مجرى اليمين فعليك بسببه كفارة يمين ، وهي اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فإن لم تستطع فصيام ثلاثة أيام، والأمر بينك وبين الله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وإننا نوصي السائل الكريم أن يتقي الله في بيته وزوجه ، ونحذره من الغضب الذي قد يجره إلى أمور لا تحمد عقباها ، وكذلك من التهاون في أمر الطلاق والتلفظ به .

هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

العام الجديد

بقلم : الأستاذ أبو النصر التميمي

وأظلنا عامٌ جديد ... أهلاً بمقدمه السعيد
ما زال غضّاً طاهراً ... كبراءة الطفل الوليد
ماذا يخبئ يا تُرى ... بالوعد حُفّ أم الوعيد ؟
أنرى نعيماً وارفاً ... أم نارَ حقدٍ من مريد ؟
بدمٍ جديد جاءنا ... أم فيه تقطيع الوريد ؟!
إني لأطمعُ منه بالبركاتِ ... والعيش الرغيد
أملٌ يراود قلبي ... الملهوف من أملٍ بعيد
العدل يُشرقُ ساطعاً ... والظلمُ يغرُبُ في اللحود
والمؤمنون تعاونوا ... ليظلهم نجمُ السعود
ويقودهم في حِكمةٍ ... تدبير مأمونٍ رشيد
ومكان شائك عوسجٍ ... تعلو السنابل والورود
وشريعة الغاب انتهتْ ... والرّفقُ قد عمّ الوجود
وتغيبُ عن أبصارنا ... صورُ الطّريدِ أو الشّريد
ويُدكّ طيشُ عابثٌ ... ويُعظّمُ الرأي السديد
وعن التقدّم يختفي ... عقمٌ وتثبيطٌ كؤود
لغة التعقل نرتأي ... لا النار أو بطش الحديد
والأمن أقبل باسماً ... يشدو بمخضرّ النشيد
أيسرُ قلبي مرّةً ... نبأ يُطيرهُ البريد ؟
إني ليعصرني الأسى ... من سحقِ ماضينا التليد
ما في العوالمِ بُقعةٌ ... إلا تئنّ من القيود
والأقوياءُ تجبّروا ... بقلوبهم يزهو الجحود
يا صاحِ علمٌ مُبصرٌ ... هو في الورى بيت القصيد
نرقى به نحو العلا ... ونزيل إظلام الجمود

مقدمة وتوطئة :

ما من شك، في أن موضوع النية الذي نحن بصدده ، هو موضوع شامل لعلوم الدنيا والدين ، وليس بوسعي ولا باستطاعتي هنا أن أقف على جميع تفاصيل وجزئيات هذا الموضوع ، لأن ذلك مما يصعب تحصيله أو الإحاطة به وحصره ، ولذا سوف اقتصر على ما يتصل بالموضوع اتصالاً مباشراً بما يفي بالغرض الذي من أجله قصدت .

ونظراً لخطورة شأن النية ، بل أهميتها وعظمتها ، وما يترتب عليها من حيث الثواب والعقاب والصحة أو الفساد ، فهي بمنزلة الميزان الذي يقاس به أي عمل من الأعمال ، سواء أكان قولياً أم فعلياً فإنها تعدُّ شرطاً لصحة العمل كما عند جمهور العلماء ، وقد تواتر النقل عن الأئمة والعلماء في تعظيم قدر النية ، وحاز حديث " الأعمال بالنيات" على منزلة عظيمة ، وعلى فضل السبق من بين الأحاديث العظيمة التي يدور عليها الإسلام ، وكل أحاديث رسول الله ﷺ عظيمة ، حيث صدر الإمام البخاري في كتابه "الصحيح" وأقامه مقام الخطبة له ، قال أبو عبيد الهروي " ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع ولا أغنى فائدة من هذا الحديث 1" وقال : " جمع النبي ﷺ أمر الآخرة في كلمة واحدة (**إنما الأعمال بالنيات**)2 " . وقال عبد الرحمن بن مهدي :" لو صنفت الأبواب لجعلت حديث عمر بالنية في كل باب ، وقال : من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بحديث الأعمال بالنيات 3" وقد فعل ذلك الإمام النووي -رحمه الله - في الأربعين النووية والعراقي -رحمه الله- في كتابه " التقريب " وقال الشافعي -رحمه الله-" يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من العلم 4" وهذا قول وجيه جداً لأن النية تدخل في كل عمل

فتمثل نصف الدين ، وبما أن قبول العمل عند الله تعالى مبني على قاعدتين أصليتين هما : الإخلاص والمتابعة ، فالإخلاص تحققه النية ، والمتابعة هو التزام النص الوارد من كتاب أو سنة ، وعن أبي داود قال : نظرت في الحديث المسند فإذا هو أربعة الآف حديث ثم نظرت فإذا مدار الأربعة الآف حديث على أربعة أحاديث ، حديث النعمان بن بشير: " الحلال بين والحرام بين 5" وحديث عمر " إنما الأعمال بالنيات 6" وحديث أبي هريرة " إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا 7" وحديث " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه 8" . قال : فكل حديث من هذه الأحاديث الأربعة ربع العلم ، وقد جمعها الحافظ أبي الحسن طاهر بن المعافري ، في بيتين من الشعر فقال :

عمدة الدين عندنا كلمات أربـــــع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية 9

ولقد أحسن من قال : (الناس كلهم هلكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم ، فالعمل بغير نية عناء ، والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ، ومع العصيان سواء ، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء، وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً مغموراً ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان:23) وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية ؟ أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص ؟ أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه ؟ فالوظيفة الأولى على عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولاً لتحصل المعرفة، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والخلاص)10.

تعريف النية في اللغة والاصطلاح :

تعريف النية في اللغة :

إن النية مأخوذة من كلمة نوى ، وتدل هذه على اللفظة على معاني متعددة فهي تأتي بمعنى الحاجة ، أو الوجه الذي تقصده، أو الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد ، والنية والنوى جميعاً بمعنى البعد، وتأتي بمعنى الدار ، والتحول من مكان إلى مكان آخر أو من بلد إلى آخر ، أو بمعنى الجد في الطلب يقال :" نويت الشيء إذا جددت في طلبه 11". ويقال أيضاً : نويت منزل كذا ، ونويت أمراً أو يقال

نواه الله بخير : أي قصده به واوصله إليه 12.

وأما تعريف النية في الاصطلاح : فهو أخص من المعنى اللغوي وقد وردت فيه تعريفات عدة أيضاً ومنها ما عرفها به ابن رفعة الشافعي حيث قال : (النية في الشرع عزم قلبي على عمل فرضي أو غيره) وعرفها المحاسبي فقال : (النية إرادة العبد أن يعمل بمعنى من المعاني إذا أراد أن يعمل ذلك العمل لذلك المعنى فتلك الإرادة نية إما لله عز وجل وإما لغيره لقول النبي ﷺ : " وإنما لكل إمرئ ما نوى " لأنها نية للمعنيين . نية أن يعمل العمل ، ونية أن يعمل لمعنى من المعاني دنيا وآخرة) وعرفها الغزالي فقال : (النية هي الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إما في الحال وإما في المآل) وقال النووي : (النية عزم القلب على عمل فرض أو غيره) وأما ابن رجب الحنبلي فقد قال : (النية في القول نوع من القصد والإرادة ، والنية في كلام العلماء تقع في معنيين أحدها : تمييز العبادات بعضها عن بعض لتمييز صلاة الظهر عن صلاة العصر مثلاً وتمييز رمضان عن صيام غيره ، أو تمييز العبادات عن العادات كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرد والتنظيف ، ونحو ذلك ، وهذه هي النية التي توجد كثيراً في كلام الفقهاء ، والمعنى الثاني بمعنى تمييز المقصود بالعمل أهو لله وحده أم لله وغيره) .

وقال القاضي البيضاوي : النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً من جلب نفع أو دفع ضرر حالاً أو مآلاً ، والشرع خصصه بالإرادة الموجهة نحو الفعل لابتغاء رضاء الله تعالى وامتثال حكمه، وعرفها ابن عابدين فقال : (النية لغة : عزم القلب على الشيء . واصطلاحاً : قصد الطاعة والتقرب إلى الله تعالى في إيجاد الفعل) وأما ما عرفها به أحمد بن الحسيني فهو : (ان النية معناها لغة وعرفاً القصد الكلي الشامل للعزم ، والقصد المقارن للفعل) .

وأما تعريف د/ صالح بن غانم السدلان ، فبعد ذكره ومناقشته لجميع هذه التعريفات السابقة خرج بتعريف استخلصه منها جميعاً حيث قال (النية قصد كلي ، نسبي ، شامل للعزم والقصد المتقدم على الفعل أو المقارن له في بعض أحواله) ولمزيد من الفائدة هنا نقول هناك علاقة قوية بين ألفاظ " أراد وقصد وعزم" حيث إن هذه الألفاظ الثلاثة تشترك مع لفظة " نوى" في أكثر معانيها 13 وهناك فروق دقيقة جداً في معانيها الخاصة لا تدخل في تفاصيل بحثي هذا، ولكن أحيل القاريء الكريم إذا أراد

التوسع إلى كتاب قيم في هذا الباب وهو " النية وأثرها في الأحكام الشرعية " د / صالح بن غانم السدلان - الجزء الأول - دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع -الرياض - الطبعة الثانية .

حكم النية : اتفق أهل العلم على مشروعية النية في كل عبادة، ولكنهم اختلفوا هل هي ركن أو شرط، والأقرب إلى الصواب أنها شرط وليست ركناً؛ لأن الشرط يتقدم على الشيء ويستمر معه ، وأما الركن فهو ماهية الشيء، وقد يكون في أوله أو وسطه أو آخره ، والنية لابد أن تتقدم على الفعل أو العمل ولو بزمن يسير فامتنع بذلك أن تكون ركناً بل هي شرطاً 14 .

وأما حكم الأعمال المتعلقة بالنية فهي تندرج تحت ثلاثة أقسام وهي : المعاصي والطاعات والمباحات .

فالمعاصي لاتتغير عن موضعها بالنية ، أي أن المعصية لا تنقلب طاعة مهما سلمت النية ، فمثله كمن بنى مسجداً بمال حرام أو أطعم فقيراً من مال غيره ، أو اغتاب إنساناً مراعاة لقلب غيره ، فالنية هنا لا تؤثر في إخراجه من كونه معصية أو ظلماً أو عدواناً عرف ذلك أم جهل، فإن عرفه فهو معاند للشرع ، وإن جهله، فهو عاص لله تعالى بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم . لأن قصد الخير بالشر على خلاف مقتضى الشر، هو شر آخر . كما أن رأي العلم : العلم بالعلم ، ورأس الجهل : الجهل بالجهل . قال سهل ـرحمه الله ـ ما نعصي الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل ! قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل قال : نعم الجهل بالجهل .

وأما الطاعات : فهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها ، وفي تضاعف فضلها أما الأصل : فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية ، وأن تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة ، فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها ، ومن أمثلته القعود في المسجد ، وفيه انتظار الصلاة إلى الصلاة وذلكم الرباط، والتجرد لذكر الله تعالى ، وبه تطمئن القلوب ، وفيها ترك الذنوب وتحصيل العلم ، ونزول السكينة، وحف الملائكة ، وغشيان الرحمة ، وذكر الله تعالى لهم في الملأ الأعلى عنده ، وغير ذلك . وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : (من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال : أخاً مستفاداً في الله، أو رحمة مستنزلة أو علماً مستطرفاً، أو كلمة تدل على هدى، أو تصرفه عن ردى ، أو يترك الذنوب خشية أو حياء) .

وأما المباحات : فإنه ما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات ، وينال بها معالي الدرجات فما أعظم خسران من يغفل عنها ؟ أو يستحقر العبد شيئاً منها لأنه مسؤول عنها يوم القيامة ، لِمَ فعله والذي قصد به ، ولهذا قال بعض العارفين من السلف : (إني استحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي وفوحي ودخولي إلى الخلاء) ومن هنا امتنع جماعة من السلف عن جملة من الطاعات إذا لم تحضرهم النية ، وقالوا ليس تحضرنا فيه نية ، (فعندما مات " حماد بن سليمان " وكان أحد علماء أهل الكوفة، قيل للثوري : ألا تشهد جنازته ؟ فقال : لو كان لي نية لفعلت ، وكان طاووس لا يحدث إلا بنيته ، وكان يسأل أن يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ ، فقيل له في ذلك قال : أفتحبون أن أحدث بغير نية ؟ إذا حضرتني نية فعلت)15. وهكذا ينبغي على العبد أن يتفقد نيته دائماً في سائر عمله كله فلا يقدم ولا يحجم إلا بنية، فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار ، وإنما هي " أي النية " انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها ان فيه غرضها إما عاجلاً وإما آجلاً 16. وصدق الفضيل بن عياض حين قال : (إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك) .

منزلتها في الكتاب والسنة وعناية العلماء بها مع بيان فضلها :

إن ما يميز النية ويبين منزلتها العظيمة كثرة ورودها في كتاب الله عز وجل بصيغ وألفاظ متعددة ، وكذلك الحال بما صح عن رسول الله ﷺ بلفظ النية أو معناها ، ومن ثم ما أثر عن عناية العلماء بها وذلك عن طريق افتتاح كتبهم كما سبق وإن ذكرنا ، مما يدل على منزلة النية وأهميتها في كل عمل .

فمما ورد في القرآن الكريم حول النية إخلاص العمل لله تعالى قوله تبارك وتعالى بلفظ الإخلاص (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥)17 وقوله تعالى بلفظ الإرادة (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ۝١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ۝١٩) 18.

وأما ما جاء في القرآن الكريم وعبّر عنها بلفظ الابتغاء فهو كما في قوله تعالى : (۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ

مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾) 19. وفي غيرها كثير ولكنني اكتفيت بذكر آية كريمة واحدة على كل لفظ منها لأوضح وأؤكد وأبيّن منزلة النية وعظيم شأنها في الآيات الكريمة من كتاب الله عز وجل .

وأما ما ورد من النية في السنة النبوية الشريفة من رسول الله ﷺ باعتبارها داخلة في كل الأعمال فهي كثيرة جداً نكتفي بذكر بعضها ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) 20 .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)21.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة ، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة)22.

وأما ما ورد عن عناية السلف الصالح والعلماء الأجلاء في اعتبار النية في كل الأعمال لبيان مدى عظمة النية ومنزلتها، فهي كثيرة جداً ذكرنا بعضاً منها سابقاً، وها أنا أذكر بعضها الآخر نظراً لأهميتها في الموضوع ، فعن يحيى بن أبي كثير التابعي قال : (تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل) وعن سفيان الثوري قال : (ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي أنها تتغلب علي) . وعن يوسف بن أسباط الموصلي قال: (تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد) وعن مطرف بن عبد الله قال : (صلاح القلب بصلاح العمل ،وصلاح العمل بصلاح النية) وعن عبد الله بن المبارك قال : (رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية)23 وفي هذا القدر مما ذكرنا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وحسبنا أن نختم بما قاله من أعطي جوامع الكلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى) .

أثر النية في صلاح العمل وفساده :

هذا هو بيت القصيد والهدف المنشود من بحثي لموضوع النية إذ أن النية هي رأس الأمر وعموده لأنها

روح العمل وقائده ، والعمل تابع لها يبنى عليها ، يصح بصحتها ويفسد بفسادها ، وبوجودها يستجاب ويحصل التوفيق وبعدمها يكون الخذلان ، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة ، حيث إن المخلص ينال شرف المهابة والمحبة ، والمرائي يلبس ثوبي الزور والمهانة وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)24 .

ومما يميز النية ويبين أهميتها أنها مقياس للعمل في الأمور الباطنة التي لا يطلع عليها إلا الله ﷻ ما بيّنه النبي ﷺ عندما سئل عن الرجل يقاتل خفية ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)25. كما أن النية هي التي تميز الأعمال المتشابهة فتفرز العبادات عن العادات ، بل تعمل على تمييز بعض العبادات عن بعض وأمثلته كثيرة جداً كالأمساك عن المفطرات، فهو إما يكون حمية أو تداوياً أو لعدم الحاجة إليه، إما أن يكون طاعة لله تعالى. وكالغسل إما أن يكون قربة لله تعالى، وإما من أجل التنظيف وإزالة الأقذار، ومنها الصلاة والوضوء والحج والجهاد والزكاة ، وكذلك سائر الأعمال جميعها أولها وآخرها ، باطنها وظاهرها من الأقوال والأفعال، فالناس كانوا يأتون رسول الله ﷺ ويعلنون إسلامهم بين يديه فيقبل منهم النبي ﷺ ويصدقهم، ولكن اتضح بعد ذلك أن أناساً منهم كانوا من المنافقين الذين فضحهم الله تعالى بقوله (إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١) 26 فالذي ميز أقوال المنافقين عن أقوال غيرهم هو النية الفاسدة عندهم ، ولأن أقوالهم تخالف معتقداتهم ، إذ إن من شرط صحة العبادات هو إخلاص العبادة لله تعالى وتحقيق المتابعة لرسول الله ﷺ، فإذا اختل هذا الشرط كانت الأعمال فاسدة، وحصل الانحراف والخلل في العقيدة عند الناس فيتعلقوا بغير الله ويصرفوا عبادتهم لغير الله ، ومن هنا كان أول خطوة في العمل هو تصحيح العقيدة وإصلاح النية ، لأن صلاح العمل مقترن بصلاح النية وفساد العمل مقترن بفسادها ، بل إن حكمة الله تعالى وكرمه أن جعل لأهل الإيمان والصلاح علامات يتميزون بها ، كما حصل لأهل المعصية والفجور صفات يعرفون بها فقال سبحانه في وصف المؤمنين (مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي

وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ) 27 وقال سبحانه في حق المخادعين والمنافقين : (أَم حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾) 28 .

إذن فإن مرد الأعمال كلها إلى القلوب، ولكن المميز الحقيقي لها هي النية، فكلما صلحت النية وخلصت لله تبارك وتعالى، كلما كان العمل صالحاً مقبولاً عند الله تعالى ، وبتفاوت درجات العمل تتفاوت درجات الإثابة على حسبها في الإخلاص والصدق والمحبة، لأن الناس متفاوتون فيها ، فأعلاهم وأكملهم في الإخلاص رسل الله وأنبياؤه ، وأكمل رسل الله إخلاصاً أولو العزم منهم ، وإمامهم في ذلك رسول الله ﷺ .

فصلاح النية وإخلاص الفؤاد لله تعالى يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة عند الله تعالى ، وقال ﷺ (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا وكان له به صدقة)29 بل أن اللذاذات التي تتشهاها النفس إذا صاحبتها النية الصالحة والهدف النبيل تحولت إلى قربات، فالرجل يواقع إمراته يريد أن يحفظ عفافه ويصون دينه ، له في ذلك أجر 30، يقول رسول الله ﷺ (وفي بضع أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) 31 وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في فم امرأتك)32.

فما دام العبد أخلص النية لله عز وجل ، فإن الله تعالى المطلع على خبايا النفوس ، ويعلم السر وأخفى يجزيه على نيته الصادقة حتى وإن عجز عن القيام بالفعل لقلة ماله أو ضعف صحته ومرضه والأمثلة على ذلك كثيرة جداً نذكر منها :

ما حدث في غزوة العسرة حيث جاء إلى رسول الله ﷺ رجال يريدون أن يجاهدوا مع رسول الله ﷺ الكفار بأنفسهم في سبيل الله عز وجل ولكن الرسول ﷺ لم يستطع قبولهم فعادوا وكلهم حسرة لعدم تمكنهم من قتال المشركين وفيهم نزل قوله تعالى (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾) 33 ثم

أشاد النبي ﷺ بإخلاصهم وإيمانهم فقال مخاطباً الجيش الذي معه (إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سرتم سيراً إلا وهم معكم . قالوا : وهم بالمدينة؟ قال : نعم حبسهم العذر) 34.

فانظر يا عبد الله ـ هدانا الله وإياك ـ لخالص الأعمال وأطيبها ، كيف أن الإخلاص والنية الصادقة سجلت لهم ثواب المجاهدين وهم في بيوتهم قاعدون ، وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (ثلاثٌ أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، فأما الذي أقسم عليهن : فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عِزّاً، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقرٍ.وأما الذي أحدثكم فاحفظوه إنما الدنيا لأربعة نَفَرٍ : عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعمل لله فيه بحقّه فهذا بأفضل المنازل، وعبدٌ رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلانٍ فأجرهما سواء، وعبدٌ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل فيه بحقٍ فهذا بأخبث المنازل، وعبدٌ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ووزرهما سواءٌ)35 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً...)36.

وكما سبق أن ذكرنا بأن صلاح العمل مرتبط بصلاح النية فكذلك الحال فإن فساد العمل مرتبط بفساد النية وراجع إليها ، ويترتب على ذلك بطلان العمل في الدنيا ومحو ثوابه في الآخرة ، وجعله الله تعالى هباءً منثوراً قال تعالى (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾) 37.

فالصلاة والزكاة مع الرياء تصبحان جريمة ، يستحق صاحبهما عليهما العذاب والتنكيل وتستجلب الويل لهما مع عدم قبول عملهما . قال تعالى (فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾) 38 . وقال تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ) 39 .

هذا ويعتبر الرياء من أفتك العلل والأمراض بالأعمال الذي ينقص العمل أو يحبطه على حسب نوعه، فمن عمل عملاً صالحاً ، ونيته رياء وثناء الناس عليه ، فإن هذا العمل حابط لا يقبل عند الله تعالى ، وأما من عمل عملاً صالحاً خالصاً لوجه الله تعالى كصلاة وصدقة وترك ظلم، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما نيته أن يجازيه الله تعالى بحفظ ماله أو عياله، ولكن لا ينوي من عمله طلب الجنة أو النجاة من النار ، فهذا يعطى على قدر نيته فيثاب على عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب (وإنما لكل امرئ ما نوى).

وكذلك حال من يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يحج لمال أو يهاجر لدنيا أو امرأة يتزوجها ، أو يجاهد لأجل المغنم ، أو يتعلم لأجل المنصب أو الرياسة أو الوظيفة فبينها أيضاً رسول الله ﷺ بقوله (فهجرته إلى ما هاجر إليه) . لأن الهجرة لأمور الدنيا لا تنحصر فهو إما لطلب دنيا مباحة وإما محرمة ، فعلى حسب نيته يجازى ، ولهذا إذا عمل العبد عملاً صالحاً خالصاً لله، ولكنه اختل عنده شرط الإيمان كمن كفر أو أشرك فإنه لا يقبل العمل منه أيضاً فأشبه الرياء من حيث بطلان العمل لاختلال الشرط، ولكن من أجل هذا العمل الصالح فإن الله عز وجل يكافئهم على أعمالهم فيوفيهم إياها في الدنيا حتى يأتوا يوم القيامة وليس لهم عند الله حسنة . لقوله ﷺ (إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة ، وأما الكافر فيعطى بحسناته في الدنيا حتى إذا قضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً) رواه مسلم وأحمد.

وأما إذا عمل العبد عملاً صالحاً خالصاً لله تعالى ، ثم ألقى الله تعالى له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله تعالى واستبشر، فإن ذلك لم يضره ولا يؤثر على عمله فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ (أنه إذا سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه فقال : تلك عاجل بشرى المؤمن) 40.

فالنية كما قررنا ، هي أساس العمل وقوامه ومعياره ، لأنه لا يتم تمييز العمل الخالص عن غيره إلا بها، في أكثر الأعمال التي صورتها ومظهرها أنها أعمال صالحة وشرعية فيما يبدو للناس، مع أنها في عداد الأعمال المردودة على صاحبها جملة وتفصيلا، لأنها لم تكن خالصة لوجه الله تعالى في حقيقتها وجوهرها فاستحق واستوجب صاحبها بسببها النار، وهذا ما دل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه

نعمته فعرفها ، قال : فما عملت بها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال : فما عملت بها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك . قال : كذبت، ولكنك تعلمت ليقال : عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ . فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت بها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا انفقت فيها لك . قال كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)41.

فمدار الأعمال على صدق النية وإخلاص العمل لله تعالى ولو كان العمل قليلاً فليست العبرة بكثرة الأعمال ، حيث إن كثيرها إذا قصد به صاحبها غير الله استوجب دخول النار ، يدل على ذلك حديث طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال (دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما : قرب ، قال ليس عندي شيء أقرب ، قالوا له قرب ولو ذباباً ، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة) 42.

فالرياء والسمعة على ما بينهما من فرق كما جاء عن العلامة عز الدين بن عبد السلام حيث قال : الرياء أن يعمل لغير الله ، والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس 43، فالرياء كله مذموم ، وأما السمعة فهي محمولة على حسب نية العامل ـ محمودة أو مذمومة ـ يقول رسول الله ﷺ (من سَمَّع سَمَّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به)44.

هذا وللرياء أو السمعة المذمومة التي يقصد منها ثناء الناس وليست لوجه الله تعالى لها أسباب وبواعث من أهمها : نشأة الولد الأولى حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيته وطبعه . ومنها الصحبة والرفقة السيئة حيث يعمل المرائي على تقليد ومحاكاة غيره ، ومن جملة الأسباب أيضاً عدم المعرفة الحقيقية بالله تعالى ، لأنه يؤدي إلى عدم تقدير الله حق قدره أو تعظيمه حق عظمته لينتظر الجزاء منه سبحانه ، أو من أجل الرغبة في الصدارة والمنصب والطمع فيما في أيدي الناس ليشبع غريزة حب

المحمدة من الناس بسبب إعجابهم بأعماله وربما يكون السبب هو العكس حيث الخوف من كلام الناس لاسيما الأقران هو الباعث على الرياء حتى يظهر أمامهم بالصورة التي ترضيهم ولتسكت ألسنتهم عنه، وهذا السبب ينطبق تماماً على كثير من أهل زماننا فانظر ـ هدانا الله للحق وإياك ـ كيف يتعامل الناس مع بعضهم في المناسبات العامة - أفراحهم وأتراحهم - وظهور بعض الظواهر الغريبة في حياتنا التي اكتسبوها من عادات وتقاليد أهل الكتاب حتى في مزاورتهم لبعضهم بعضا ، فبدلاً من أن تكون العلاقة مبنية على البر والتقوى بدلاً من الإثم والعدوان أصبح كل شيء قائماً على المصلحة والمنفعة (إلا من رحم ربي وقليل ما هم) فعندما تسأل بعضهم لم شاركت في فرح فلان أو ذهبت لتواسي فلاناً في مصيبة ، تشتهي وتتمنى أن تسمع كلمة من اجلها شرعت هذه الأمور (لله) أو (في الله) ولا تسمع إلا له حق سابق عليّ سداده ، أو أنه جاري وصديقي أو قريبي ولا مناص ولا خلاص من ذلك ، أو تسمع (ما لهاش وجه ما اذهب عنده أو ماذا يقول الناس عني) ويا ليت شعري لو أنهم وفروا أموالهم وجهودهم غير المشكورة ولا المقبولة لفقدان عنصر النية الصادقة الخالصة لله تعالى ، ذلك أن الحق سبحانه مضت سنته في خلقه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتغى به وجهه قال تعالى (فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾) 45. وأخيراً قد يكون الجهل أو الغفلة عن العواقب الوخيمة أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة هي السبب في مراءاة الناس أو تسميعهم.

وأما سمات وعلامات الرياء أو السمعة فهي : النشاط في العمل ومضاعفة الجهد إذا كان مع الناس، والكسل والتقصير إذا انفرد عنهم ، وقد بين علي بن أبي طالب ﷺ علامات المرائي فقال (يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان في الناس ، ويزيد في العمل إذا أثني عليه ، وينقص إذا ذم) . ومن سماته أيضاً الحفاظ على محارم الله ورعايتها إذا كان على الناس وانتهاكها إذا كان بعيداً عنهم وإلى هذه العلاقة يشير النبي ﷺ قائلاً (لأعلمنّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثوراً أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)46.

وأما آثار الرياء والسمعة على أصحابها العاملين بها ، فإن لها آثاراً ضـــــارة وعواقباً مهلكة ، ومن

أهمها : الحرمان من الهداية والتوفيق مصداق قوله تعالى (فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ) 47. ومن آثاره حصول الضيق والاضطراب النفسي عنده لقوله تعالى (وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا) 48 ونزع الهيبة من قلوب الناس ، قال تعالى (وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ) 49 ومنها عدم اتقان العمل قال تعالى (وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ) 50 عدا عن فضيحته في الدنيا وعلى رؤوس الأشهاد يوم القيامة قال تعالى (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ) 51 الأمر الذي يوقع صاحبه في غوائل الإعجاب بالنفس ثم الغرور والتكبر الذي يستوجب العذاب الشديد له في الآخرة . قال تعالى (۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩) 52 من أعظم آثاره السيئة هو بطلان العمل واحباطه، قال تعالى: (وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا) 53.

وأما طريق علاج الرياء أو السمعة فيتلخص في تذكر عواقب الرياء الدنيوية والآخروية ، والتخلص والانسلاخ من صحبة المعروفين بالرياء ومصاحبة الأخيار المخلصين الصادقين ، وبمعرفة الله تعالى وتقديره حق قدره ومعرفته ، مع مجاهدة النفس وتهذيبها ، والالتزام بآداب الإسلام والوقوف على اخبار المرائين ومعرفة عواقبهم مع دوام النظر والسماع للنصوص المرغبة في الأخلاق ، ومحاسبة النفس دائماً أولاً بأول واتهامها بالتقصير ، وتبصيرها بعيوبها للتخلص منها . وأخيراً صدق اللجوء إلى الله والإستعانة به مع التذكر الدائم بأن كل شيء يجري في هذا الكون هو بقضاء الله وقدره ﷻ 54. قال عز من قال : (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢) 55 .

مسائل في النية تنبني عليها أحكام العبادات والمعاملات :

محل النية : أجمع العلماء على أن محل النية القلب ، وأنـــه لا يشرع التلفظ في الجملة إلا عند ذبح

النسك أو الأضحية فإنها سنة ، وأما ما ذكره الفقهاء وأصحاب المذاهب الأربعة باستحباب التلفظ عند الإحرام بالنسك الذي يريد الدخول فيه فإنه غير ثابت عن النبي ﷺ كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ وكذلك ما وضحه وبينه حديث جابر الطويل رضي الله عنه حيث بين فيه إهلال النبي ﷺ بالتوحيد (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) وحديث جابر يعطي وصفاً مفصلاً عن حجة النبي ﷺ فلو قال النبي ﷺ (نويت الحج أو اللهم إني أريد الحج) لنقل ذلك جابر رضي الله عنه أو غيره من الصحابة 56، فالواجب على المسلم أن يقتصر على ما ثبت عن النبي ﷺ ويحرص على اقتفاء أثره ولا يلتفت لقول أحد كائناً من كان .

وأما عن وقت النية وزمانها ، فإنه لا خلاف بين أهل العلم أن النية لو تقدمت على العمل بزمن طويل عرفاً ، وحدث فصل طويل لوجود أعمال أخرى بين النية والمنوي فقطعتها فلابد من استئناف النية لوجود الفصل الطويل والأعمال الأخرى . وكذلك لو نوى عملاً ثم ألغى نيته فيه، ثم حدد النية للعمل نفسه مرة أخرى لابد من استئناف النية ولا خلاف في ذلك ولكن الخلاف وقع بين العلماء في حالة تقدم النية على العمل ولم يقطعها فهل يلزم استئناف النية أو أن النية الأولى تكفي ؟، والحق في ذلك والله أعلم جواز تقديم النية على التكبير في الصلاة مثلاً بزمن يسير عرفاً وذلك لأنه أحوط للعبادة ، ولأن النية عادة تتقدم وتوجد قبل فعل المنوي ، ومنع جواز تقدم النية على العمل يؤدي إلى الحرج والمشقة .

وأما مقارنة النية للعمل ، فقد قال به عامة أهل العلم ، وعليه فلا يجوز تأخير النية عن أول العمل إلا نية صوم الفريضة فوجب تقديمها من اول الليل لأن تأخيرها إلى أول وقت الصوم قد يؤدي إلى تفويت صيام ذلك اليوم ، ولو قلنا بمقارنة النية لأول وقت الوجوب فقد ينام الصائم أو يذهل عنها وهذا هو السر و الفرق بين الصوم وسائر العبادات في تقديم النية لحديث رسول الله ﷺ (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) 57 وأما تأخير النية عن أول العمل فلا يجوز لعموم حديث الباب (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) .

ومما تقدم نقرر أن النية لا بد وأن تتقدم على أول العمل ، بل ويجب أن تقارن أوله وهذا ينطبق على نية الوضوء أو التيمم والغسل وكذلك الصلاة، ويستثنى من هذا الأصل مسألة نية صوم النفل فقط 58.

وأما عن قطع النية في أثناء العبادة فيختلف من عبادة إلى أخرى باختلاف نوعها، فإن نوى قطع الإيمان صار مرتداً ، وإن نوى الخروج من الصلاة بطلت وأما الحج والعمرة إذا نوى الخروج منهما لم يخرج لقوله تعالى : (وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ) 59 .

وأما إذا نوى قطع الوضوء في أثنائه انقطعت نيته وله ان يبني عليه ما لم يطل الفصل ، وأما الصوم إذا نوى الخروج منه بطل لا يستأنف لأنه عبادة لا تتجزأ .

وأما قلب النية وتحويلها من عبادة إلى عبادة أخرى فقد أجازها العلماء إذا تحقق بها مصلحة شرعية وإلا فلا ، فلو قلب نية فرض الظهر إلى فرض العصر فلا تصح لأنه قطع نية الاولى ولم ينو الثانية من اولها ، ولو قلب نية نفل راتب إلى نفل راتب آخر ، كأن يقلب نية الوتر إلى ركعتي الفجر فلا يصح كالتي قبلها ، ولو قلب نفل إلى فرض كأن يقلب نية الوتر إلى ركعتي الفجر فلا يصح كالتي قبلها أيضاً، ولأن النفل أضعف من الفرض ، وأما إذا قلب نية فرض إلى نفل ، فإن كان لمصلحة شرعية جازت ، كأن يكبر المصلي تكبيرة الإحرام منفرداً فتحضر جماعة ويريد أن يصلي معهم فله ذلك للمصلحة الراجحة في الجماعة ولأن تحويل النية لمصلحة شرعية له نظائر كتحول المصلي من كونه إماماً إلى كونه مأموماً في حالات معروفة كما هو معلوم ، وأما إذا كان قلب النية لا يحقق مصلحة شرعية صحيحة فالأولى منعه ، وأما في حالة الشك والتردد في النية سواء أكان الشك يتعلق في إنشاء النية هل نوى أو لا أو في تعيينها هل نوى فرضاً أو نفلاً، فإنه في هذه الحالة يبني على اليقين فيقطع الشك باليقين كما يقول الفقهاء .

وأخيراً إذا نوى شخص ما تأدية عبادة ما عن غيره فالصحيح فيها ـ والعلم عند الله تعالى ـ هو الاقتصار على ما ورد في النصوص ومنع ما سواه حيث تجوز النيابة في الحج وصوم النذر مثلاً ، ولا تجوز صلاة أحد عن أحد، هذا من حيث العبادات ، وأما ما كان من قبيل العادات والمصالح الجارية بين الخلق، فإن كان مشروعاً لحكمة لا تتعدى المكلف عادة أو شرعاً كالأكل والشرب والنكاح والعقوبات فلا تصح النيابة فيه شرعاً لأن حكمة مشروعيتها لصاحبها لا تتعداه إلى غيره . وأما إذا لم تختص حكمة مشروعيته بصاحبه كالبيع والشراء والإجارة ونحوها، فالنيابة في هذه الأمور عن الغير صحيحة وصالحة لأن يأتي بها سواه 60. والله تعالى أعلم .

خاتمة في الإخلاص :

فإنـــــه لا يخفى على أحد ما لإخلاص النية من أهمية قصوى ، وحاجة العبد إلى ذلك عظيمة ، لأن الإخلاص هو طريق الخلاص ، وكما قال الفضيل " رحمه الله " (ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص ان يعافيك الله منهما) فبالإخلاص أيها الإخوة ينال العبد الأجر من غير عمل فعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ (من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى اصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه)61 بل وبفضل وجود المخلصين يتم تحقيق النصر لهذه الأمة لحديث النبي ﷺ (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم)62.

ولكي نحقق الإخلاص لابد من معالجة الإخلاص ، من حب الثناء أو المدح أو الغرور والإعجاب بالنفس وغيرها كما بيناه سابقاً ، وطريق معالجته بعلمنا أن لله تعالى علينا حق أكبر وأكثر من أعمالنا ، لأنه سبحانه هو وحده الذي هدانا ووفقنا لهذا العمل ، فنقوم باستحضار نقص العمل، واتهام النفس بالتقصير دائماً وأبداً ، لتجتهد في طلب الإخلاص وتتخلص من أثر الرياء والسمعة ، في جميع مجالات الإخلاص في الأعمال الصالحة أو العبادة أو الجهاد أو العلم ، أو في الدعوة إلى الله عز وجل أو حتى في التربية وغيرها 63.

فانظر يا عبد الله ، ماذا عمل الإخلاص في العبادة والعمل الصالح لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له في قصة أصحاب الغار الثلاثة في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، حيث قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، كنت لا أغبق 64 قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح 65 عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، والصبية يتضاغون 66 عند قدحي ، فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه ، قال الآخر : اللهم كانت لي ابنة عم كانت احب الناس إلي ، وفي رواية : " كنت أحبها

كاشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين 67 ، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها ، وفي رواية: " فلما قعدت بين رجليها 68 قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ، وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجره حتى كثرت منه الاموال ، فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أد إلي أجري ، فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي ! فقلت : لا استهزئ بك ، فاخذه كله فاستاقه ولم يترك منه شيئا ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون)69.

فيا دعاة الإسلام ، ويا حاملي لواء العلم اسمعوا لقول الحبيب المصطفى ﷺ (من تعلم علماً يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً _ يعني متاع الدنيا _ لم يعرف عرف الجنة يوم القيامة)70 يعني ريحها الطيب فهؤلاء الذين يجتهدون في ستر عباداتهم وتنزيهها عن شوائب الأغراض الفانية والأخلاق الدنيئة الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا أي حضروا لم يعرفوا ، هم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله " إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي "71.

والشرك في هذه الأمة يا عباد الله أخفى من النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء السوداء ، فقد خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : (أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقال له من شاء الله أن يقول وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله قال : " قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم ")72.

وفي ختام بحثي هذا أريد أن انوه إلى أن هناك بعض المفاهيم الخاطئة يظنها بعض الناس أنها من الإخلاص وليست من الإخلاص كمن يريد أن يتخلص من جميع الإرادات والملذات أبداً ، وهذا لايمكن لأن هذه فطرة فطر الله الناس عليها ، وفي الحديث " حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء " . فيقولون يجب أن لا يكون عندك هم في النكاح ، ولا غرض في وظيفة ولا تجارة ولا شيء أبداً من

الدنيا، لأنك إذا قضيت شهوتك في النكاح فأنت مشرك ، وإذا عملت في وظيفة وارتقيت فيها فأنت مشرك وهذا تناقض غريب عجيب لا يتفق مع تعاليم الإسلام الحنيف .

بل إن هناك من يظن أن طلب الثواب الأخروي مناف للإخلاص فيقول لك لا تسأل الله الجنة واعمل لله ولا تعمل للجنة ، ولا تعمل خوفاً من النار ولكن خوفاً من الله فإن فعلت فأنت مشرك ، مع أن هذا مناف تماماً لتعاليم الإسلام أيضاً لأن النبي ﷺ كان يعمل لله عز وجل ويسأل الله تعالى الجنة ويستعيذ به من النار . وقال الله تعالى (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ) 73.

وقد وصل الأمر ببعض الناس في ترك الطاعات والعبادات خوف الرياء فلا يصلون في المساجد صلاة الجماعة ولا الجمعة بحجة أن الناس يرونهم وعلى العكس أيضاً أن بعضهم الآخر يقول : لا يجب أن أخفي ذنوبي عن إخواني لا بد أن أخبرهم بكل ما أفعل فيقوم بافتضاح نفسه وقد ستر الله تعالى عليه وهذا أيضاً لا يصح شرعاً بل هو مخالف لتعاليم الإسلام تماماً .

وأخيراً أيها الإخوة فلا بد من كشف المرائين والتحذير منهم ، وتعرية غير المخلصين ، حتى تستبين حقيقتهم للناس ، قال عثمان رضي الله عنه " ما سر أحد سريرة ، إلا أظهرها الله عز وجل على صفحات وجهه وفلتات لسانه "74 .

وقال بعض الحكماء : مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملأ كيسه حصى ثم دخل السوق ليشتري به ، فإذا فتحه بين يدي البائع افتضح وضرب به على وجهه فلم يحصل به منفعة ، سوى قول الناس ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئا ، فكذلك من عمل الرياء والسمعة لا منفعة له في عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة.

فلنطهر النوايا ونصفي النفوس ونعمل جميعاً على تخليص القلوب من جميع ما يشوبها أو يدنسها واختم بحثي بقوله ﷺ (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) 75 سائلين الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من عباده المخلِصين المخلَصين ، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين وأن يجمعنا في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1. ابن حجر العسقلاني / فتح الباري شرح صحيح البخاري مجلد1 ص11 .

2. د/ صالح بن غانم السدلان – النية وأثرها في الأحكام الشرعية ج الأول ط 2 ص52 .
3. ابن رجب الحنبلي – جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم – ط 7 ص61 مؤسسة الرسالة.
4. السدلان النية وأثرها في الأحكام الشرعية ص52 .
5. رواه البخاري ومسلم .
6. رواه البخاري ومسلم .
7. رواه مسلم .
8. رواه الإمام الترمذي وغيره .
9. ابن رجب – جامع العلوم والحكم ص63 .
10. الغزالي – إحياء علوم الدين – م4 ص362 – دار الرشاد الحديثة .
11. ابن منظور – لسان العرب م15 ص346-350- دار صادر بيروت .
12. د/ إبراهيم أنيس – المعجم الوسيط –م1-2 –ص965 – ط 2 .
13. السدلان – النية من ص97-117 .
14. المرجع السابق ص184 ، بتصرف .
15. الغزالي – إحياء علوم الدين من ص368-374 .
16. المرجع السابق ص373 .
17. سورة البينة آية(5) .
18. سورة الإسراء آية (18-19) .
19. سورة النساء آية (114) .
20. رواه البخاري .
21. رواه مسلم .
22. رواه البخاري .
23. السدلان – النية من ص145-147 .
24. متفق عليه .
25. متفق عليه .
26. سورة المنافقون آية (1) .
27. سورة الفتح آية (29) .
28. سورة محمد آية (29-30) .
29. متفق عليه .
30. محمد الغزالي – خلق المسلم ص72-73 ، ط3- دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .
31. رواه مسلم .
32. رواه البخاري .
33. سورة التوبة آية (92) .
34. رواه البخاري .
35. رواه الترمذي .
36. رواه البخاري .
37. سورة النور (39) .
38. سورة الماعون (4-7) .
39. سورة البقرة (264)
40. رواه مسلم .
41. رواه مسلم .
42. رواه الإمام أحمد .
43. ابن حجر العسقلاني – فتح الباري مجلد 11 ص336 .

44. رواه البخاري .
45. سورة الكهف (110) .
46. رواه ابن ماجه في السنن .
47. سورة الصف (5) .
48. سورة طه (124) .
49. سورة الحج (18) .
50. سورة فاطر (43) .
51. سورة البقرة (204-206) .
52. سورة إبراهيم (28-29) .
53. د/ السيد محمد نوح – آفات على الطريق – ج1 ص187-208 بتزف – ط2 – دار الوفاء المنصورة .
54. سورة الحديد (22) .
55. السدلان – النية ص351 .
56. رواه أبو داود .
57. السدلان – النية ص363 وما قبلها بتصرف.
58. سورة البقرة (126) .
59. السدلان – النية ص392 وما قبلها بتصرف .
60. رواه النسائي وابن ماجة واللفظ للنسائي.
61. رواه النسائي .
62. محمد صالح المنجد – حاجتنا إلى الإخلاص – ص46 وما قبلها بتصرف ط1 ، مكتبة الصفا .
63. أي : ماكنت أقدم عليهما أحداً في شرب نصيبهما عشاءً من اللبن .
64. أي : ارجع إليهما بالماشية من المرعى .
65. أي : يصيحون من الجوع .
66. أي : وقعت في سنة قحط وجدب .
67. أي : جلست مجلس الرجل للنكاح والجماع .
68. متفق عليه .
69. رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد .
70. رواه مسلم .
71. رواه أحمد والطبراني واللفظ لأحمد .
72. سورة المطففين (26).
73. المنجد ـ حاجتنا إلى الإخلاص ـ ص61 وما قبلها ، بتصرف .
74. ابن حجر الهيثمي ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ص43 .
75. رواه مسلم .

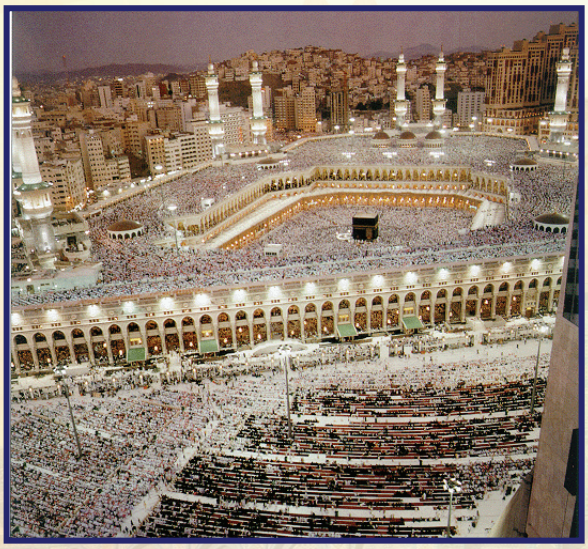

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة :51)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الغر الميامين أما بعد :

فإن الإيمان بالقدر يبعث في القلوب المؤمنة بقدر الله عز وجل الشجاعة في مواجهة الشدائد والصعاب ويقوي في النفس العزائم فتثبت في ساحات المواجهات ولا تخاف الأعداء لإيقانها بقدر الله وان الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر ساعة أو دقيقة واحدة، فلذلك لنتأمل في موضوعنا هذا معنى الإيمان بالقدر وحكم الاحتجاج وأثار الإيمان به.

أولا : معنى الإيمان بالقدر :

هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله عز وجل وقدره وأنه الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر والمقدور ولا يتجاوز ما خط اللوح المسطور وأنه خالق أفعال العباد .

ومع ذلك فقد أمر الله العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم وغير مجبورين عليها بل هي بواقعة حسب قدراتهم وإراداتهم والله خالقهم وخلق قدرتهم قال تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان:2) ، وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب:38) .

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان ، ومن ذلك الإيمان بالعلم وبما بعده من المراتب فإن هذا كله من أركان الإيمان فهو من أصول الدين ومن عقد الإيمان ومن أصول المعرفة والتوحيد لما جاء جواب الرسول ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان قال (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**) وقال ﷺ في أخر الحديث **{ يا عمر أتدري من السائل ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم }** رواه مسلم

هذا الحديث من أعظم الأحاديث في الإسلام التي عليها مدار الدين كله، وله من الأهمية والمنزلة في دين الإسلام الشيء العظيم .

ولايتم التوحيد والإقرار بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقا غير الله فقد أشرك ، فكيف من يزعم أن كل أحد يخلق فعله ؟

إن النفس المؤمنة بقدر الله تعالى لتنعم بنعمة لا تعدلها نعم الدنيا كلها ، إنها نعمة الرضا بالحال، لذلك أن هذه النفس ترى إن المقادير تجري بأمر الله عز وجل قال تعالى :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:216) .

فالنفس المؤمنة بقدر الله عز وجل تعلم أن الله هو الذي قدر الخير والشر، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: 8) يقول النبي ﷺ (**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ،إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**) رواه مسلم

ثانيا : حكم الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله به :

عقيدة الإيمان بالقدر لقيت كثيرا من الاعتراضات وأثيرت حولها كثير من الشبهات ومن المعلوم أن كثيرا من الكافرين المشركين الضالين والمقصرين في عبادة الله عز وجل والمنحرفين عن منهج الله قد وجدوا في القدر مجالا للاحتجاج به على كفرهم وفسادهم وتقصيرهم .

الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئته في أفعاله الاختيارية وقدرته عليها لان الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له قال تعالى﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ (النبأ:39)

وقـــال تعـــالى في قدرتـــه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾ (البقرة:286) وأما الواقع فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئه وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، وهناك فرق بين ما يقع بإرادته كالمشي وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، ولان الكون كله ملك الله تعالى فلا يكون شيء بدون علمه ومشيئته لقوله تعالى﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الإنسان:30).

الإيمان بالقدر لا يمنح العبد حجة على ترك ما أمر الله به، أو فعل ما نهى الله عنه، فمن احتج بالقدر على فعل المعاصي، فهذا احتجاج باطل من وجوه عدة :

1. إن علم الله الأزلي محيط بكل شيء مما كان ومما سيكون ومما لم يكن، لو كان كيف يكون، والأمور تقع على مقتضى علمه الكامل قال النبي ﷺ (**ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة**، فقال رجل من القوم :الا نتكل يا رسول الله ، قال ﷺ (**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**) (أخرجه البخاري ومسلم) فقد أمرنا الرسول ﷺ بالعمل ونهانا عن الاتكال على القدر .

2. إن الله تعالى أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا بما يستطيع لقوله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرًا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (التغابن:16) ، ولو كان العبد مجبورا على الفعل لكان مكلفا بما لا يستطيع الخلاص منه ، وهذا باطل.

3. إن قدر الله تعالى سر مكتوم من أسرار الله لا يعلمه إلا الله لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبيٌ مرسل ولا يعلم إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله لذلك نهى الرسول ﷺ أصحابه الخوض في القدر فلا يجوز الخوض في القدر، والبحث عنه بطريق العقل بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين : أهل اليمين خلقهم للنعيم فضلاً ، وأهل الشمال خلقهم للجحيم عدلا .

ثالثا : آثار الإيمان بالقدر

للقدر أثار كبيرة على الفرد والمجتمع أجملها فيما يأتي :

1- القدر من أكبر الدواعي التي تدعو الفرد للعمل والنشاط والسعي بما يرضي الله في هذه الحياة ، والإيمان بالقدر من أقوى الحوافز للمؤمن كي يعمل ويقدم على عظائم الأمور بثبات ويقين .

2- أن المؤمنين مأمورون من الله عز وجل بالأخذ بالأسباب ولا تعطي النتائج إلا بإذن الله، لأن الله هو الذي خلق الأسباب، وهو الذي خلق النتائج، يقول النبي ﷺ (**المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان** .) (رواه مسلم)، يقول ابن القيم رضي الله عنه: لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل.

3- ومن آثار الإيمان بالقدر أن يعرف الإنسان قدر نفسه فلا يتكبر ولا يبطر ولا يتعالى أبدا؛ لأنه عاجز عن معرفة المقدور والمستقبل وما هو حادث، ومن ثم يقر الإنسان بعجزه وحاجته إلى ربه تعالى دائما، وأن ما وقع فقد جرت به المقادير وسبق به علم الله، وهذا من أسرار خفاء المقدور .

4- إن الإيمان بالقدر يبعث في القلوب الشجاعة في مواجهة الشدائد ويقوي فيها العزائم فتثبت في ساحات الجهاد والمواجهات، ولا تخاف الأعداء لأنها توقن بان الموت حق، وان الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر ساعة واحدة، قال تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (التوبة:51) .

5- ومن آثار الإيمان بالقدر أنه يطرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول مكروه، لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملكوت السموات والأرض ، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر لقوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحديد:22)

6- الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تعصف بالمجتمعات وتزرع الأحقاد بين المؤمنين مثل الحسد ، فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، لأنه هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك وهو يعلم أنه يحسد غيره إنما يعترض على المقدور .

7- الإيمان بالقدر من أكبر العوامل التي تكون سببا في استقامة المسلم وخاصة في معاملته للآخرين ، فحين يقصر في حقه أحد أو يسيء إليه أو يرد إحسانه بالإساءة أو ينال من عرضه بغير حق تجده يعفو

ويصفح لأنه يعلم إن ذلك مقدور، وهذا إنما يحسن إذا كان في حق نفسه أما في حق الله فلا يجوز العفو ولا التعلل بالقدر، لأن القدر إنما يحتج به في المصائب لا في المعايب.

8- الإيمان بالقدر يغرس في نفس المؤمن حقائق الإيمان المتعددة فهو دائم الاستعانة بالله يعتمد على الله ويتوكل عليه مع فعل الأسباب وهو أيضا دائم الافتقار إلى الله، يستمد منه العون على الثبات ويطلب منه المزيد، وهو أيضا كريم يحب الإحسان إلى الآخرين فتجده يعطف عليهم .

إن المؤمن الصادق لا يذل إلا لله عز وجل، ولا يخضع ولا يخاف إلا منه عز وجل، وحتى يكون كذلك تجده يسلك الطريق المستقيم ويثبت عليه، ويعود إليه ويصبر على ما يلقاه في سبيل الدعوة من عداء المعتدين وحرب الظالمين، ومكر الماكرين، ولا يصده شيء من ذلك لأن هؤلاء لا يملكون من أمر الحياة ولا أمر الأرزاق شيئا، فما قدر سيكون، وما لم يقدر لن يكون وهذا كله مرجعه إلى الله، والعباد لا يملكون من ذلك شيئا. قال العلامة الشيخ محمد السفاريني في منظومته :

أفعالنا مخلوقة لله ... لكنها كسب لنا يا لاهي

وكل ما يفعله العباد ... من طاعة أو ضدها مراد

لربنا من غير ما اضطرار ... منه لنا ، فافهم ولا تمار

نصرة النبي صلى الله عليه وسلم

بقلم : الأستاذ / كمال مصطفى أبو هليل

يا مَنْ أَسَأْتَ إلى النَّبيِّ مُحَمَّدا ... مَأْواكَ في دَرْكِ الجَحيمِ مُخَلَّدا

يا مَنْ صَنَعْتَ مِنَ الرُّسومِ حَقارَةً ... وَأَجَزْتَ تَعْبيراً وَقُلْتَ تَعَمُّدا

فاجْعَلْ رُسومَكَ في حكاكيرِ الخِنا ... وَاصْنَعْ لَها مِنْ خُبْثِ كُفْرِكَ مَعْبَدا

وارقُبْ مَصيرَكَ مِنْ عَظيمٍ قاهِرٍ ... وَاحْفُرْ لِفِعْلَتِكَ الخَسيسَةِ مَرْقَدا

يا أَيُّها الحَكَرُ المُسيءُ أَلا تَرى ... أَيْقَنْتُ أَنَّكَ طاغِياً أَوْ مُلْحِدا

تَبّاً أَبا لَهَبٍ عَلَيْكَ وَلَعْنَةً ... تَبّاً أَبا جَهْلٍ وُلِدْتَ مُجَدَّدا

هذا رَسولُ اللهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ... بَشَرٌ وَلا وَصْفٌ يُعَبِّرُ أَحْمَدا

حَقّاً عَلى الرَّحْمنِ نُصْرَةُ دينِهِ ... وَرَسولِهِ وَالمُؤْمِنينَ مَنِ اقْتَدى

هُوَ رَحْمَةٌ لِلنّاسِ جاءَ مُحَمَّدٌ ... لِلْعالَمينَ مُبَشِّراً وَمُوَحِّدا

وَلِيُخْرِجَ الإِنْسانَ مِنْ ضيقِ الدُّنا ... وَمِنَ الجَهالَةِ وَالضَّلالَةِ لِلْهُدى

مِنْ جَوْرِ أَدْيانِ العِبادِ وَظُلْمِهِمْ ... لِعِبادَةِ الرَّحْمنِ رَبّاً أَوْحَدا

فَمَنى يَتيماً لا حَنانَ يَؤُمُّهُ ... وَحَليمَةٌ كانَتْ عَلَيْهِ مُوَدِّدا

حَمَلَ الرِّسالَةَ بِالنَّوائِبِ هادِياً ... وَمَنارَةً لِلْحَقِّ عاشَ مُجاهِدا

كَمْ حاوَلوا أَنْ يَقْتُلوهُ بِغَدْرِهِمْ ... مَكَروا وَمَكْرُ اللهِ كانَ مُسَدَّدا

أَوْ يَجْعَلُوهُ عَلى القَبائِلِ سَيِّداً ... أَوْ يُخْرِجوهُ إِلى الشِّعابِ مُشَرَّدا

فَأَجابَ يا عَمّاهُ أَهْلَكُ دونَهُ ... حَتّى يُتِمَّ اللهُ أَمْراً أَوْجَدا

وَأَتاهُ جِبْريلُ لِيَتْرُكَ مَكَّةً ... وَبِرِفْقَةِ الصِّدّيقِ هاجَرَ قاصِدا

الغارُ يَشْهَدُ وَالحَمامَةُ حَوْلَهُ ... وَالعَنْكَبوتُ وَبَيْتُها مُتَرَصِّدا

فَأَزاغَ عَنْهُ اللهُ أَعْيُنَ كُفْرِهِمْ ... خَسِئوا وَأَمْرُ اللهِ كانَ مُؤَسَّدا

مِنْ نورِهِ شَمْسُ الهِدايَةِ أَشْرَقَتْ ... وَالدِّينُ في شَتّى الكَريَةِ سَيِّدا

هُوَ أَشْرَفُ الخَلْقِ الأَمِينُ وَخَيْرُهُمْ ... أَسْخَى وَأَكْرَمُ فِي العَطَاءِ وَأَجْوَدَا

وَلَقَدْ رَعَاهُ اللهُ فِي قُرْآنِهِ ... وَحَبَاهُ بِالخُلُقِ العَظِيمِ مُمَجِّدَا

سُوَرٌ وَآيَاتٌ عَلَيْهِ تَنَزَّلَتْ ... جِبْرِيلُ يَنْقُلُهَا إِلَيْهِ لَهُ صَدَى

سُنَنٌ أَحَادِيثٌ وَأَحْكَامٌ بِهَا ... فَقَّهَهُ وَتَهَذَّبَ وَكَانَ المُرْشِدَا

يَا مَنْ أَضَاءَتْ بِنُورِ وَجْهِكَ ظُلْمَةً ... وَالمَاءُ مِنْ كَفَّيْكَ سَالَ وَأَوْرَدَا

وَالصَّخْرَةُ الصَّمَّاءُ مِنْكَ تَكَسَّرَتْ ... وَبَشَائِرُ الفَتْحِ المُبِينِ تَأَكَّدَا

وَحَكَمْتَ بِالقِسْطَاسِ بَيْنَ قَبَائِلٍ ... كَادَتْ حُرُوبٌ أَنْ تَشُبَّ وَتَوَلَّدَا

وَأَتَيْتَ بِالحَجَرِ الكَرِيمِ وَضَعْتَهُ ... بِعَبَاءَةٍ وَالكُلُّ هَمَّ وَأَسْنَدَا

وَغَزَالَةٌ جَاءَتْ إِلَيْكَ لِتَشْتَكِي ... مِنْ صَائِدٍ حَرَمَ الصِّغَارَ وَأَجْهَدَا

وَكَفَلْتَهَا لِتَسُدَّ جُوعَ صِغَارِهَا ... أَوْفَيْتَ إِلَيْكَ وَمَا أَخَلَّتْ مَوْعِدَا

وَعُرِفْتَ بِالإِخْلَاصِ وَالحِلْمِ الَّذِي ... زَكَّى قُلُوبَ المُؤْمِنِينَ وَجَسَّدَا

مَا كَانَ اسْمُكَ فِي القَبَائِلِ شَائِعًا ... بَلِ اللهُ أَلْهَمَ وَالِدَيْكَ وَأَسْعَدَا

أَسْمَاءُ جَهْلٍ عَنْ جَهَالَةِ أَسْلَفَتْ ... هِيَ عَبْدُلَاتُ وَعَبْدُ عُزَّةَ عَبَّدَا

كَالبَدْرِ وَجْهُكَ فِي السَّمَاءِ مُهَلِّلٌ ... وَرَعَاكَ رَبُّكَ فِي البُطَيْنِ مُجَنَّدَا

وَرَأَتْكَ آمِنَةٌ بِأَوْسَطِ حَمْلِهَا ... نُورًا تُضِيءُ المَشْرِقَيْنِ مُقَلَّدَا

سُبْحَانَ مَنْ شَرَحَ الصُّدُورَ وَشَقَّهَا ... وَأَشَاءَ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَأَبْعَدَا

يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الكِرَامِ جَمِيعُهُمْ ... وَإِمَامَ حَوْضِ الكَوْثَرِيِّ وَسَيِّدَا

أَدَّيْتَ لِلرَّحْمَنِ خَيْرَ أَمَانَةٍ ... وَذُكِرْتَ فِي الكُتُبِ الكَرِيمَةِ أَحْمَدَا

يَا مَنْ عَرَجْتَ إِلَى السَّمَوَاتِ العُلَا ... وَرَأَيْتَ مَا شَاءَ العَظِيمُ وَأَوْعَدَا

جَنَّاتُ عَدْنٍ فِي الخُلُودِ وَأَنْهُرٍ ... نُورُ الجَلَالِ عَلَى النُّبُوَّةِ أَشْهَدَا

وَرَأَيْتَ فِرْدَوْسَ النَّعِيمِ وَسِدْرَةً ... وَرَأَيْتَ أَمْلَاكًا وَآدَمَ مُفْرَدَا

هُوَ تَارَةً بَاكٍ وَتَارَةً ضَاحِكًا ... نَحْوَ اليَمِينِ إِلَى الشِّمَالِ مُتَسَدِّدَا

وَرَأَيْتَ مِنْ آيَاتِ رَبِّكَ مَا رَأَتْ ... عَيْنٌ وَلَا أُذُنٌ نَعِيمًا أَخْلَدَا

وَعَلَيْكَ صَلَّى اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَعَلَيْكَ قَدْ صَلَّوْا مَلَائِكَةَ الهُدَى

وَأَتَيْتَ بِالخَمْسِ الفَرَائِضِ رَحْمَةً ... وَأَمَرْتَنَا لِلهِ رُكَّعًا سُجَّدَا

مَنْ كَانَ يَجْحَدُهَا أَحَلَّ جُحُودَهُ ... النَّارُ أَوْلَى بِالجَحُودِ وَأَكْبَدَا

ومُشَفَّعاً يومَ الحسابِ وحَدِّها ... ويقولُ يا ربّاهُ أُمَّةَ أحمَدا

هِيَ أُمَّتي جاءَت إليكَ تَشَفُّعاً ... فاشفَعْ لَها مِن حَرِّ نارٍ مَوقِدا

طوبى لمَن أدّى الحُقوقَ لِربِّه ... وأتى المَساجِدَ طائعاً مُتَعَبِّدا

يَنهى ويَأمُرُ ما استَطاعَت نَفسُه ... وحَلاوَةُ الإيمانِ أهنَى وأحمَدا

يا مَن ذَكَرتَ اللهَ ثُمَّ رَسولَه ... صَلِّي وسَلِّم بالنَبي مُحَمَّدا

يا ربِّ آتِيهِ الوَسيلَةَ والرِّضا ... ومَقامَ مَحمودٍ وزِدهُ تَحَمُّدا

إسلامُنا دينُ الكَرامَةِ والهُدى ... دينُ الطَّهارَةِ مَن تيَقَّنَهُ اهتَدى

دينُ التَّراحُمِ والتَّعَفُّفِ دينُنا ... هُوَ أعدَلُ الأديانِ حُكماً أزهَدا

لا دينُ إجحافٍ ودينُ تَسَلُّطٍ ... هُوَ دينُ حَقٍّ ومَن يُعاديهِ اعتَدى

إن أنتَ تَجهَلُهُ جَهِلتَ نَعيمَهُ ... واللهُ يَهدي مَن شاءَ لَهُ الهُدى

سَمّوهُ إرهاباً ودينُ تَطَرُّفٍ ... فَمَنِ الذي صَنَعَ الدَّمارَ وأوقَدا

ومَنِ الذي جَلَبَ الحُروبَ وشَنَّها ... ومَنِ الذي احتَلَّ البِلادَ وشَرَّدا

ومَنِ الذي هَدَمَ المَنازِلَ واعتَدى ... ومَنِ الذي فَرَضَ الحِصارَ وهَدَّدا

ومَنِ الذي قَتَلَ الشُّعوبَ وأمَّنهم ... وبِحُجَّةِ الإرهابِ أصبَحَ مارِدا

يا أيُّها الكُفرُ الرُّعاعُ تيَقَّنوا ... سَيَعودُ جُندُ الحَقِّ جَيشُ مُحَمَّدا

ولَنا غَدٌ لا رَيبَ فيهِ ومَوعِدٌ ... نَصرٌ وفَتحٌ فاجعَلوهُ مُؤَكَّدا

دِنَمَرُكُمُ فَتِكانُكُم ورُسومُكُم ... وفُسوقُكُم عاثَ البِلادَ وأفسَدا

يا أُمَّةَ القُرآنِ هَيّا قاطِعوا ... دُوَلَ الضَّلالِ ومَن أساءَ وعَرَبَّدا

وذَروا بِضاعَتَهُم تُرَدُّ إليهِمُو ... هذا الجَزاءُ لِمَن أضَلَّ وأعتَدا

الكُفرُ والشَّيطانُ حِزبٌ واحِدٌ ... هذا وذاكَ على السَّماءِ تَمَرَّدا

الحمد لله بعث سيدنا محمداً ﷺ رحمة للعاملين وجعل هجرته نصراً للإسلام والمسلمين ورسالته عامة للثقلين أجمعين .

واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له . أيد نبيه بنصره وبالمؤمنين .

واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وتركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

فصلاة الله وسلامه على إمام المرسلين، وقدوة العاملين، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم وطاعته وأحذركم وإياي من عصيانه ومخالفة أمره لقوله تعالى :﴿ مَّن عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (فصلت:46)

أما بعد : فيقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب:21).

أيها المسلمون : أيها المرابطون في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس :

عام هجري انقضى بكل ما فيه من الآلام والمعاناة ليحل عام هجري جديد نسأل الله تعالى أن يفرج فيه كرب المسلمين ويلم شملهم ، ويوحد صفهم، ويعلي شأنهم ويلهمهم التأسي بصاحب الذكرى

الشريفة، الذي غيرت هجرته مجرى التاريخ الإنساني بإعادة الكرامة لبني الإنسان . وصححت دعوته التصور الكامل للكون والحياة والإيمان والإنسان .

فقد نهض نبينا عليه الصلاة والسلام داعيا إلى الله على بصيرة مبشراً من آمن بالله واتبع دعوة الإسلام بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . فآمن النفر القليل من أهل مكة الذين شرح الله صدورهم للإسلام .

فكانوا عدة الدعوة وسيف جهادها وأصحاب رسولها يلتفون حوله، ويطيعون الله ورسوله في ثبات على الدين يعد مضرب الأمثال في الصبر والتضحية والفداء والعطاء ، فقد تحملوا أذى المشركين من أهل مكة بنفوس أذهلت المشركين بصبرها وقوة إيمانها . ويحث النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه على الصبر ويعدهم بنصر الله لأن هذا هو شأن الرسالات يلاقي أتباعها الأذى والعنت من الكفر والكافرين . كما يضطر الرسل للهجرة بدعوتهم حماية لها ولأتباعها ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (إبراهيم:13) . وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال:30) .

ويهاجر النبي ﷺ امتثالا لأمر ربه بعد أن ربّى في مكة المكرمة نفوسا إيمانية تستعذب كل صعب في سبيل الله. وترتفع فوق سائر العلائق البشرية من مال وأهل وولد لنصرة الله ورسوله واتباع الدين الذي أنقذها من هذا الضلال إلى نور الإيمان .

أيها المسلمون : وفي المدينة المنورة موطن الهجرة والمهاجر اكتمل بناء المجتمع الإسلامي وتوطدت أركانه وتهيأت مقومات قيام الدولة الإسلامية الأولى بقيادة النبي ﷺ الذي جمع بين سياسة الدين والدنيا ، فهو المبلغ رسالة ربه والمبين للتشريع الإسلامي . يقود الجهاد في سبيل الله ويراسل ملوك الأرض ورعاياهم يدعوهم إلى دعوة الإسلام .

أيها المسلمون : يا أبناء ديار الإسراء والمعراج :

وتحقيقا للتكافل الإيماني في دولة الإسلام فقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار أخوة إيمانية ذابت في بوتقتها كل الروابط العرقية والقومية وقد سطر القرآن الكريم بآيات من نور سمات المجتمع

الإسلامي في المدينة المنورة بقوله تعالى :﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحشر:8 -9) .

بهذا الإخاء الفريد قام المجتمع الإسلامي في موطن الهجرة فغدت دار الهجرة حاضرة الدولة الإسلامية . وتميزت عن ديار الكفر بالولاء لله والرضا بحاكميته وأصبح المسلمون أمة من دون الناس يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

فما أحوج المسلمين اليوم لهذا الإخاء وهم يتنسمون شذى الذكرى العطرة التي تعتبر دروسها تشريعا للمسلمين فيجب عليهم إتباعه والعمل على منهاجه .

أيها المسلمون : لقد أدرك نبيكم عليه الصلاة والسلام المهمة العظيمة التي تقوم بها الدولة .

ولذا عمل على إقامتها على أسس متينة من الإيمان والوحدة والمؤاخاة ونظم رعاياها وفق وثيقة مشهورة تحدثت عنها كتب السيرة النبوية الشريفة ، هذه الوثيقة التي لم تغفل حقوق غير المسلمين من رعايا الدولة الإسلامية . وقد عدها الباحثون أول وثيقة دستورية مكتوبة للدولة الإسلامية .

هذه الدولة التي ترعى شؤون الدين والدنيا وتحافظ على النظام العام وتطبق القانون الإلهي لتحقيق العدل والعدالة بين الناس .وهي الدولة التي تذود عن حياض المسلمين، وتحافظ على بيضة الدين وترعى شؤون المؤمنين .

فهل من هجرة في سبيل قيام دولة الإسلام والحكم بالقرآن فما ذلك بعزيز على أمة ناصرها ومؤيدها الملك الديان فهو القائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (محمد:7) . والرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ " **لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** " (رواه أحمد وأبو داود عن معاوية رضي الله عنه) .

أو كما قال.

ادع الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الحمد الله الهادي إلى الصراط المستقيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وأشهد أن لا اله إلا الله أحب لعبادة أن يعملوا لدينهم ودنياهم حتى يفوزوا بنعم الله وينالوا رضوانه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من هاجر في سبيل الله ، وجاهد في الله حق جهاده ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اقتدى واهتدى بهداه إلى يوم الدين :

وبعد أيها المسلمون : لم تكن هجرة نبينا ﷺ فراراً من الوطن ، أو طمعا في الحياة والسلطان بل كانت لنصرة الدين وحماية العقيدة وإعداداً للعودة المظفرة .

فلم تطل غيبة المهاجرين عن وطنهم مكة ، بل عادوا إليه بمجموع الأمة مجاهدين فاتحين في ظلال دولة الإسلام وأخوة الإيمان وقيادة النبي عليه الصلاة والسلام الذي ما عرف التاريخ فاتحا اعدل منه ولا مسامحا أكرم منه، فلم يدفعه النصر المبين والفتح العظيم إلى ما يفعله الغزاة من أعمال القتل والتنكيل، بل عفا عن قريش مخاطباً إياهم " **اذهبوا فأنتم الطلقاء** " .

فهلا استفادت أمتنا الإسلامية من هذا الدرس العظيم من سيرة صاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام لتحافظ على الإنسان والأوطان والدعوة والدين . فتعمل على توحيد الصفوف وجمع الطاقات لتحمي دماء الشعوب الإسلامية التي تراق على مذابح الغدر والتطهير العرقي والحصار الظالم في العراق والشيشان وفلسطين وكشمير ولبنان وغيرها من بقاع الأرض التي يطارد فيها المسلمون تحت شعارات الإرهاب التي تطلقها دول الإرهاب والاستعمار .

أيها المسلمون : إن أمتنا مدعوة في ذكرى الهجرة النبوية الشريفة أن تترسم خطى صاحب الذكرى، فتعاهد ربها أن تعود إلى معين قوتها وسر عزتها ، وتحتكم إلى الإسلام في جميع شؤون حياتها لتقيم مجتمع الإيمان ودولة الإسلام من جديد وتحمل للعالم المنكود نور الهداية . وتخلص الإنسان من ظلم أخيه الإنسان ، لتسعد الأمة الإسلامية ومعها سائر البشرية . وما ذلك على الله بعزيز ، ما دام بين أيدينا كتاب الله فهو العصمة لمن تمسك به ، والنجاه لمن عمل بأحكامه ، وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلن يصلح حال أمتنا اليوم إلا بما صلح عليه أولها ، فنحن أمة أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

دعاء ... .

للإعجاز القرآني وجوه ، يتصدرها البلاغة والبيان ، ومن الآيات القرآنية التي يتجلى فيها هذا الوجه الإعجازي قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ (آل عمران:41) فعندما جاءت البشارة إلى سيدنا زكريا ، بعد دعائه في الآيات السابقة لهذه الآية يمكن أن نجملها معنى لا نصا في أن يهب له غلاما يرثه ويرث من آل يعقوب ، طلب زكريا آية أي علامة على هذه البشارة ليشكر ربه على النعمة.

وقد كانت العلامة أن لا يقدر على تكليم الناس إلا إشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب ، والرمز الوارد في الآية هو تحريك الشفتين، قاله مجاهد فيما قال الضحاك والسدي وابن كثير إشارة باليد والرأس ، ويؤكد الإشارة باليد الحسن ، أما قتادة فقد اعتبره إيماء وقيل : الرمز الصوت الخفي أو الإيماء بالشفتين وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين واصله الحركة .

والمراد ثلاثة أيام بلياليهن يدل على ذلك قوله تعالى في سورة مريم ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ (سورة مريم :10) والليالي تنفي كونه أمراً بالصوم وكانوا لا يتكلمون في صومهم لأن الصوم لا يكون ليلا ، مما يضعف تأويل من قال أمر بالصوم ثلاثة أيام ، ومما يؤكد أنهم كانوا لا يتكلمون إذا صاموا ما قالته مريم ﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ (مريم:26)

القراءات القرآنية :

أجاز الكسائي والفراء من قرأ " ألا تكلم الناس بالرفع بمعنى أنك لا تكلم الناس ، وقرأ ابن أبي عبلة

ألا تكلم برفع الميم على أن : أن هي المخففة من الثقيلة ،أي انه لا تكلم ، واسمها محذوف ضمير الشأن أو على إجراء أن مجرى ما المصدرية .

وقرأ علقمة بن قيس ويحيى بن وثاب : رمزا بضم الراء ، وخرّج على انه جمع رموز ، وقرأ الأعمش: رمزا بفتح الراء والميم ، وخرج على أنه جمع رامز ، كخادم وخدم أما الجمهور فقد قرأوها بالنصب على أن : أن تنصب الفعل المضارع وهذا هو الأصح .

الرأي النحوي :

ثمة خلاف نحوي في انتصاب ثلاثة أيام على الظرفية فالكوفيون يزعمون : إن كان اسم الزمان يستغرق الفعل فليس بظرف ، وإنما ينصب انتصاب المفعول به نحو : صمت يوماً فنصب ثلاثة أيام عندهم على انه مفعول به ، لان انتفاء الكلام منه للناس كان واقعا في جميع الثلاثة ولم يخل جزء منها من انتفاء فيه، وهذا اقرب إلى الصواب عندي .

وجعل في الآية (صيّر) فتتعدى لمفعولين : الأول (آية) ، والثاني المجرور قبله وهو (لي).

واستثناء الرمز في الآية ، قيل هو استثناء منقطع ، إذ الرمز لا يدخل تحت التكليم عند من أطلق الكلام في اللغة على الإشارة الدالة على ما في نفس المشير .

وثمة آراء ترى أنه استثناء متصل ، فالزمخشري يعده متصلا ذلك بأن الرمز فهم منه ما ينبغي أن يفهم فسمي كلاما، إلا أن ابن عطية اختار المنقطع إذ قال إن الكلام المراد في الآية إنما هو النطق باللسان لا الإعلام بما في النفس ، والحقيقة أن هذا الاستثناء يعد منقطعا لاختلاف الرمز عن الكلام ذلك بأن اللغة أعم من الكلام .

وعلى قراءة الأعمش رمزا بفتح الراء والميم ، وأنه جمع رامز ينتصب على الحال من الفاعل وهو الضمير في تكلم ومن المفعول وهو الناس .

يقول الشاعر :

فلئن لقيتك خاليين لتعلمن أي وأيك فارس الأحزاب

أي إلا مترامزين كما يكلم الأخرس الناس ويكلمونه، وفي قوله (إلا رمزا) دلالة على أن الإشارة تتنزل منزلة الكلام وذلك موجود في كثير من السنة، وفي الحديث أين الله ؟ فأشارت برأسها إلى السماء فقال " اعتقها فإنها مؤمنة " فأجاز الإسلام الأخذ بالإشارة ، وحتى يكتمل المعنى نقول الإشارة

من اللغة أعم منها من الكلام، ذلك بأن الانتشار القائم للغات الجسد كدلالة وإشارة ، وهذا ما دفعنا إلى ترجيح الرأي القائل أن رمزا استثناء منقطع .

أما الآية العاشرة من سورة مريم فثمة اختلاف في نهاية الآية إذ يقول الله تعالى ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ العلامة في الآية ألا يكلم الناس وهو سوي صحيح ليس به خرس ولا علة وقال ابن عباس : اعتقل لسانه من غير مرض وهو مع ذلك يسبح ويقرأ التوراة لان ذلك قبل ولادة عيسى عليه السلام ، وسوى الرجل سوى : استقام أمره ، وأسوى : استقام واعتدل وعوفي بعد علة وأسوى الشيء جعله سويا ، ومع وصفك يا زكريا :

سوى الأعضاء واللسان فعلامتك أن يحتبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال .

ورأي لابن عباس يقول ثلاث ليال سويا أي متتابعات مكتملات .

الرأي النحوي :

الاختلاف هنا إعراب سوي :

إذ أعربها الأخفش حالا أي أنها نصبت على الحال، والمعنى يكف عن الكلام في هذه الحال .

وعن ابن عباس عائد على الليالي أي كاملات مستويات فتكون صفة لثلاث .

والرأي عندي أنها حال لا صفة لأن الحال يدخلها ضمن الإعجاز والآية تصبح بمعنى معجزة والله أعلم .

الحبسة التي وردت في الآية هو توقف الكلام مدة ثلاث ليال والحبسة (aphasia) فقد القدرة على صياغة معاني الكلمات المنطوقة أو التعبير عنها أو فهمها بسبب إصابة منطقة اللغة لنصف كرة المخ المهيمن وقد تكون أقدم حالة حبسة مسجلة في التاريخ وردت في القرآن الكريم لسيدنا زكريا عليه السلام وفق الآية السابقة .

كما وردت في الكتاب المقدس العهد الجديد إذ كتب فيه :

" فقال زكريا للملاك : كيف يكون هذا وأنا شيخ كبير وامرأتي عجوز ؟ " فأجابه الملاك " أنا جبرائيل القائم في حضرة الله ، وهو أرسلني لأكلمك وأحمل إليك هذه البشرى ، لكنك ستصاب بالخرس ، فلا تقدر الكلام إلى اليوم الذي يحدث فيه ذلك" .

أخيرا إن علم الدلالة علم واسع رحب ، يحتاج المتأمل في الكلمات إلى البحث عن حقول الدلالة ، ولا تقتصر المعاني فقط على المعاني الظاهرة بل تحتاج إلى الغوص في الأعماق كي نستخرج درر هذا القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل .

ولما كان الإعراب فرع المعنى فقد كشف الإعراب عن معانٍ ودلالات تعطي أهمية لفهم النص من خلال نظمه وإعرابه وهذه فائدة جليلة لمن يدرس القرآن من خلال إعرابه وبيانه كي يحظى بالمكانة العالية عند الله ، والإعجاز العلمي الموجود في هذا القرآن العظيم الذي لا يخلق مع كثرة الرد والله من وراء القصد .

المراجع :

- القرآن الكريم
- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ج6، القاهرة : 2003.
- إعراب القرآن ، النحاس ، ج3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001.
- البحر المحيط ، ابن حيان الأندلسي .
- تفسير ابن كثير ، عبد الله بن كثير
- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار الفكر ، ج11 ، ج4 .
- سنن البيهقي ، البيهقي ، وسنن أبي داود ج3 .
- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت .
- عيوب الكلام واللغة ، مايكل آل أي / اسبر وف كلفورد روز ، ترجمة شاكر العبيدي ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، 1991.
- الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، بشارة لوقا .
- معجم الوسيط ، إبراهيم أنيس ، مادة سوى .

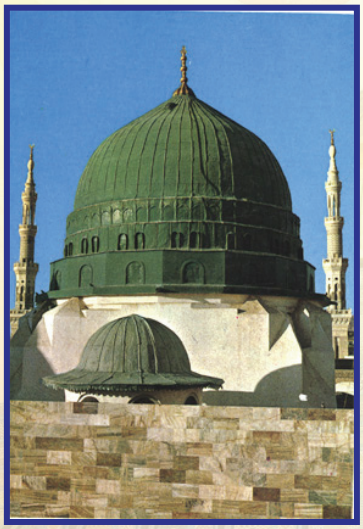

مُقَدِّمَة : فإن الحاجة الماسة التي فاجأتنا في هذا الدهر العصيب والزمان المرير جعلتنا نسبر أغوار المعرفة، ونكشف عن ساعد الجدّ، ونبصر في هذا الكون ببصيرة نافذة غابرة وحاضرة حتى نقف على المحطة التي نجد بها ضالتنا المنشودة ألا وهي دعوة الأنبياء السابقين الذين واجهوا أقواماً كانت قلوبهم وعقولهم عاجزة حتى يصبح هؤلاء من مصاف الكفرة والملحدين إلى جماعة الحق والعزة.

وبعد تلاوتنا لكتاب الله العزيز وتدبر آياته كان حال أولي العزم من الرسل حال أمة مستضعفة مقهورة، فإذا به نوح عليه السلام الذي كان له معنا كشعب فلسطيني كثير من أوجه الشبه ، وكانت إرادة الله لنا أن نقف على جوانب من حياته عليه السلام ثم نبحر في دعوته ـحتى نصل لسفينة النجاة كما وصل وأتباعه فما أحوج أمتنا، بل قضيتنا وشعبنا إلى سفينة نوح لنرسو بها على شاطىء الأمان، وبدعوته كانت لنا بها العبر والعظاتـ حيث قومه أصحاب العناد الذي ما فتىء ينفك عن عقولهم ومن ثم إلى صنعه عليه السلام للسفينة بأمر من الله سبحانه ونجاته والفئة المؤمنة من شرك الوثنية ومن الإغراق وإغراق الفئة الكافرة. ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (هود:38)

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (هود:40)

نوح عليه السلام

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (العنكبوت:14)

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام**" . هو النبي الثاني ممن ذكروا بعد آدم، والأول بعد آدم هو إدريس عليه السلام، وهو أول الرسل كما ورد في حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم:" **يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض**" .

نوح في القرآن الكريم

ذكر نوح عليه السلام في ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم، وذكرت قصته مُفصلّةً في كثير من السور الكريمة منها(الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء والقمر) وأفردت له سورة خاصة تسمى باسمه (سورة نوح) وكلها تشير إلى بعثته ورسالته وطريق دعوته وإلى ما لاقاه من قومه من جحود وعصيان إلى صبره الطويل على ما أصابه من اذى، وإلى العذاب الذي حلّ بالمكذبين وهو الغرق وإلى نجاة من آمن به.

قوم نوح

ظل قوم نوح يعبدون الأصنام دهوراً طويلة واتخذوها آلهة يرجون منها الخير ويدفعون بها الشر، ودعوها بمختلف الأسماء وداً وسواع ويغوث ويعوق ونسرا على حسب ما يملي لهم جهلهم لقوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ (نوح:23) .

وهذه الأصنام كانت أسماء لأناس صالحين أو لملائكة مقربين، فأرادوا أن يتخذوا لهم تماثيل زعماً منهم أنهم بذلك لا ينسون ذكراهم ويتأسون بهم في صالح الأعمال، ومع مضي الأزمان عبدت هذه الأوثان.

روى البخاري عن ابن عباس عند تفسير قوله (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ) قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا ينصبون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت " ، قال ابن القيم : " قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا لهم التماثيل، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. وبناء على ذلك فإن الشريعة الإسلامية جاءت محرمة للتصوير

باليد لكل ذي روح وتحرّم اتخاذ التماثيل أياً كان الغرض منها. **عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ (ثوب فيه نقوش وتماثيل) لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَاثِيلُ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَتَكَهُ وَقَالَ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ قَالَتْ فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ)** رواه البخاري (اللباس/5498) ، **وعن عبد الله بن مسعود قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ)** رواه البخاري (اللباس/5494).

المدة التي عاشها نوح عليه السلام

مكث عليه السلام في دنياه طويلاً حتى إنه كان أطول الأنبياء عمراً وأقام في قومه (950) عاماً يُذكّر قومه ويعظهم ومع ذلك لم يؤمن معه إلا قليل ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود:40).وقد ذكر بعض المفسرين أن عدد الذين آمنوا معه كانوا عشرة وهم الذين ركبوا السفينة، وورد عن ابن عباس أنهم (80) زوجاً مع أزواجهم. . وقد ذكر بعض المؤرخين أن نوحاً عليه السلام عندما ابتعثه الله تعالى كان عمره خمسين عاماً.

دعوة نوح لقومه

كان فتيق اللسان، واضح البيان، رزين الحصاة، بعيد الأناة، رزقه الله سبحانه صبراً على الجدل وقدرة على تصريف الحجج، كان يدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة، فبدأ يحذرهم من عظيم عقاب الله، فكانت حياته شاقة مريرة، ومحنته شديدة أليمة فقد أقام بينهم قروناً ودهوراً فلم ير منهم إلا آذاناً صمّاً، أنذرهم بالعقاب فعمّوا وصمّوا، ورغّبهم في الثواب ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ (نوح:7). إلا أنه ناضلهم وصابرهم فمد لهم حبل أناته، وأفرغ معسول كلماته، ولم يضعف في إيمانهم رجاؤه، ولم يدع اليأس يسلك سبيلاً إلى قلبه، بل أخذ يتفنن في دعوته فيدعوهم ليلاً ونهاراً سراً وعلانيةً ، ووجه نظرهم إلى سر الوجود وإبداع الكائنات. ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأعراف:59) .

وكما قال لهم عليه السلام : إنكم إن أطعتم الله واجتنبتم السيئات يغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم ويمهلكم ويمتعكم في هذه الدنيا إلى الأمد الذي قدره الله تعالى لانتهاء آجالكم، ولكن إن عصيتم ربكم فإنه لم

يمهلكم بل سيعجل لكم العذاب وسيأتيكم بغتة من حيث لا تدرون. ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤ ﴾ (نوح:2-4) .

استمرار الدعوة

استمر قومه بإلصاق التهم له حتى قالوا عنه مجنون وساحر ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ ﴾ (الحجر:6)، ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ (الإسراء:47).

فهذه رسالة للدعاة بعدم الانتباه لكل هذه الافتراءات والضلالات والاستمرار بالحفاظ على نسيج الأمة وتوحيد كلمتها وتجنب النظر إلى المصالح الشخصية والذاتية والفئوية والتنظيمية لأن مصلحة الأمة خير من مصلحة الفرد.

ولقد أثر خطابه في نفوسهم إلا أنهم وجدوا أن أتباعه من الفقراء والضعفاء، فكان شرطهم أن يطرد أتباعه، فرفض ذلك لأن أتباعه هم المقربون ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ۝٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣١ ﴾ (هود:27-31).**ولم تؤثر هذه الكلمات في نفوسهم وطالبوه بأن ينزل عليهم ما وعدهم به من العذاب، إلا أنه استسلم وكان واثقاً بقدرة الله العظيم وأن الأمر كله بيد الله تعالى** ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢ قَالَ

إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (هود:32-34) . كأنها رسالة صارخة لشعبنا المظلوم وأمتنا المهانة أن هذا حال الصادقين الثابتين، فمطالب قوى الظلم لا تنتهي ولن تنتهي، إلا أن دعوة نوح وأتباعه الأقلة انتصرت على الغالبية الظالمة الجائرة.

التضرع إلى الله

ضاق نوح بقومه ذرعاً حتى لجأ إلى الله مستغيثاً به الذي هو حال العاملين المخلصين أن العمل والهدف هو إرضاء الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ ﴾ (نوح:5-12) .

بعد أن بيّن نوح عليه السلام لقومه فائدة الاستغفار وما يترتب عليه من السعادة الدنيوية وجّه أنظارهم إلى قدرة الله لعلهم يؤمنون، فكانت مقولته تجلجل في آذانهم :كيف لا تخافون عظمة الله وسلطانه وقد خلقكم طوراً بعد طور، بطريقة التدرج من نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم كسا هذه المضغة عظاماً. ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ (نوح:13-14) .

ثم تابع مخاطبتهم لافتاً أنظارهم إلى عظيم قدرة الله فوقهم، فقد خلق الكواكب السيارة، وجعل الأقمار تسير في مداراتها لينير لكم القمر ليلاً ، وجعل الشمس سراج النهار، وأنشأكم من الأرض بأن غذاكم من النبات المتولد منها، ثم يعيدكم فيها بالدفن بعد الموت، ثم يبعثكم يوم القيامة للحساب، كما خلق لكم الأرض ممهدة سهلة لتتخذوا منها طرقاً واسعة لتحصيل الرزق وتحصيل بلوغ المآرب.

﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ (نوح: 15-20)

تهديد نوح

لم تترك دعوة نوح في قومه إلا أثراً ضئيلاً كما صرح القرآن الكريم ، أما الأكثرون فقد كذبوه ووصفوه بالجنون وحالوا بينه وبين دعوته بالتخويف ﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ۝٩ ﴾ (القمر:9). لكنه عليه السلام لم يألُ جهداً ولم تهن عزيمته، بل جابههم بإيمان راسخ حيث أفادهم ببيانه البليغ وصرخته المدوية: إن كان وجودي فيكم لتبليغ رسالة ربي قد أصبح شديداً عليكم، فإني مستمر في دعوتي متوكل على ربي فاحزموا أمركم، وافعلوا ما بدا لكم مستعينين بشركائكم الذين يؤمنوا بالآلهة الباطلة، ولا يكن في عدائكم لي أي خفاء، بل أظهروا كيدكم إن كنتم تقدرون على ايذائي، وهذا محال بيني وبينكم؛ لأن ربي يرعاني بحكمته، فإن أعرضتم عن دعوتي، فإن ذلك لن يضيرني؛ لأني لا أتقاضى على هذا أجراً، إن أجري إلا على رب العالمين . وهكذا يجب أن يكون حال الضعفاء الأقلة أصحاب الحق ثقة تامة بوعد الله وما أحوجنا نحن الشعب الفلسطيني لهذه الحقائق الماثلة للعيان.﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٧٢ ﴾ (يونس:71 ـ72). وإذا كان أبناء الشعب الفلسطيني بقادته وأفراده ومؤسساته بذلوا الجهود كافة لوقف ومنع الطغيان والذل النازل علينا ، فقد سبق لنوح عليه السلام أن بذل غاية جهده لهداية قومه، وبعد أن ضاقت في وجهه كل سبل إصلاحهم لجأ إلى ربه يشكو قومه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١٨ ﴾ (الشعراء:117ـ118). عندها أتاه أمر الله ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٣٦ ﴾ (هود:36).عند ذلك دعا نوح ربه ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾. (نوح :26 ـ27) وذلك خوفاً على الأجيال القادمة أن ينتشر فيهم الفساد.

استجاب الله لدعاء نوح عليه السلام وأراد سبحانه وتعالى أن يهلك قومه المكذبين حتى يهيئ للمؤمنين برسالته أسباب

النجاة، فأوحى إليه أنه لا يؤمن إلا من قد آمن، وأمده بعدم الحزن واليأس بسبب تكذيب الكافرين لأن الله سيفرقهم جميعاً.

صنع السفينة

أمر الله ﷻ نوحاً عليه السلام أن يصنع سفينة النجاة وأعلمه أنه سيكون أثناء صنعها مشمولاً برحمة الله، ونهاه أن يدعو للكفار بالنجاة بعد أن أصروا على كفرهم.

شرع عليه السلام في صنعها عندها زادت سخرية الكفار منه عندما شاهدوه يصنعها على اليابسة، وكان نوح عليه السلام إزاء سخريتهم يقول : إن كنتم تهزءون بي وبمن معي فإننا سنهزأ بكم عما قريب لأني أعلم ما سيحل بكم ومن سيأتيه عذاب يذله في الدنيا كما سيحل عليه في الآخرة عذاب دائم.(وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾) (هود:37-38).

وهي دعوة صريحة لكل الفرقاء بصنع سفينة النجاة لننجو وينجو أبناؤنا من بعدنا حتى لا يكتووا بنار الفرقة وغرق التكفير ، فكل الشعب الفلسطيني بحاجة لركوب هذه السفينة وإن سخرت منهم الدول العظمى، وهم يصنعون فلك النجاة في زمن السرعة والنووي ونحن نملك بمقدار تلك القوة من الوحدة بإذن الله.

بدء الطوفان

أتمّ صنع السفينة عندها بدأت علامات العذاب وهي تفجير الماء من الأرض فأمر الله تعالى نبيه أن يجمع من كل صنف من الأحياء -بشر وحيوانات- زوجين ذكراً وأنثى ليحملهما معه في السفينة لأجل أن تبقى بعد غرق سائر الملحدين فتتناسل ويبقى نورها على الأرض وأمر أن يحمل معه أهله وأقاربه باستثناء اثنين كفرا بالله هما إحدى زوجاته وأحد أبنائه كما أمره أن يحمل جماعة المؤمنين .

أعد نوح عليه السلام الفلك وقال للذين آمنوا اركبوا باسم الله حين تسير وحين تقف لأن السفينة ليست سبباً لحصول النجاة بل يجب عليهم أن تتجه قلوبهم إلى الله سبحانه، لأنه وحده المرسي والمجري للسفينة، كما ذكرهم بأن رحمة الله للمؤمنين ، حيث أفاض الماء من الأرض وأغدق السماء لتسير السفينة بعد أن علا الماء وسط موج بلغ من الضخامة والعلو ارتفاع الجبال وعلوها. فيارب لك الفضل والمنة أن هيأت لأمة ضعيفة سنناً كونية وقدرة ربانية للنجاة، وإن أهلكت برحمتك الكثرة

الكفرة وهذا مآل كل مؤمن بربه ومتشبث بقضيته العادلة ، إن الوحدة سبيل النجاة والفرقة مصير الهلاك والدمار ، فأرض الصحراء ماء، وسماؤها الزرقاء ماء ونجاة للمؤمنين وعقاب للكفرة المغتصبين.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (هود:40-42). عندها تذكر نوح ابنه ودفعته عاطفة الأبوة أن يناديه ليركب معه وينجو فسأل ربه أن ينجي ابنه، عندها نهي نوح أن يطلب النجاة للكافرين رحمة بالمؤمنين، ندم نوح عليه السلام على ما صدر منه واعترف قائلاً: "يارب إني أعتصم وأحتمي بك أن أسألك بعد الآن ما لا يرضيك، وإن لم تغفر لي بفضلك وترحمني أكن من الخاسرين ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (هود:45-47).

انتهاء الطوفان

لما هلك الكفار من تأثير الطوفان أمر الله الأرض أن تبلع ماءها والسماء أن تقلع وتكف عن المطر، فانحسر الماء واستوت السفينة عند الجبل، وقتئذ أمر الله سبحانه وتعالى نوحا أن ينزل من السفينة إلى الأرض فهبط بأرض الموصل محفوفاً ببركات من الله هو ومن آمن معه وذرياتهم ، وهي دعوة للنجاة بأرض العراق ووقف العدوان الإمبريالي البغيض على أرض الرافدين ووقف موجة القتل الداخلي والخارجي.

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:92)

مراجع البحث

1. القرآن الكريم. 2. الحديث النبوي الشريف. 3. أسباب النزول/السيوطي. 4. في ظلال القرآن/سيد قطب.
5. النبة والأنبياء في القرآن الكريم/محمد الصابوني. 6. مع الأنبياء في القرآن الكريم/عفيف طبارة. 7. قصص الأنبياء/ عبد الوهاب النجار. 8. سيرة ابن هشام/ابن هشام. 9. لسان العرب/ابن منظور.

من الآيات القرآنيّة قول الحقّ ـ جلّ وعلا ـ : ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ ﴾ (فاطر:34،35)، وهاتان الآيتان تدلان دلالة واضحة على أنّ الدنيا دار أحزان ، ودار تعب، ولربّما خطرت هاتان الآيتان في ذهن إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ لمّا سئل: متى يذوق العبد طعم الراحة؟ فأجاب:"عند أوّل قدم يضعها في الجنّة".

اليوم ، من النادر أن تلقى إنساناً راضياً عن حظّه في الدنيا ، وإذا ما ألفيت أيّ إنسان، وفتح لك قلبه أطال الحديث في شرح ما فعلت به الأيام ،ويبدو أنّ حسن القاياني لم يكن مبالغاً لما قال:

كلّ من لاقيتُ يشكو شَجْوَه ليتَ شعري هذهِ الدنيا لمنْ؟!

إنّ راحة البال هي جنّة أحلام الناس المفقودة ، التي يأمل كلّ إنسان أن يظفر بها ، وقلّ أن تدرك ؛ ذلك أنّ نوائب الزمان ، وجيوش الأحزان تهاجم الإنسان في كلّ زمان ومكان، ولا غرابة ؛ فربّنا قال في كتابه الخالد: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ ﴾ (البلد:4) ، ويتراءى لي أنّ إيليا أبو ماضي كان صادقاً فيما تمنّى لمّا قال:

ولقد نظرتُ إلى الحمائم في الرُّبى فعجبتُ من حالِ الأنامِ وحالِها
فغبطتها في أمنِها وسَلامِها ووددتُ لو أعطيتُ راحةَ بالِها

لعلّ وراء هموم الناس التي لا تنقطع أسباباً كثيرة ، أهمّها ضعف الإيمان بالله ؛ فضعيف الإيمان يفقد طمأنينة القلب التي يولّدها الإيمان ، فترى قلبه معلّقاً بالأسباب ، وليس بمسبب الأسباب ، ولأقلّ حادثة ينخلع قلبه ، على العكس من مكين الإيمان الذي يرى لله ألطافاً خفيّة في كلّ شيء . يقول أحد الصالحين : (**ما أصابتني مصيبة إلا رأيت فيها ثلاث نعم : أنّها لم تكن في ديني ، وأنّها لم تكن أعظم ممّا كانت ، وأنّني أرجو ثواب الله عليها**) ، ولقد أحسن إبراهيم بن أدهم صنعاً في علاج رجل رأى وجهه ينطق بالهمّ والحزن ، فقال له: ياهذا، إنّي أسألك عن ثلاثة فأجبني، فقال له الرجل : نعم . فقال إبراهيم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله ؟ فقال : لا . قال : أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟ قال:لا . قال : أينقص من رزقك شيء قدّره الله ؟ قال: لا . قال إبراهيم : فعلام الهمّ؟! وهنا نلاحظ أنّ ابن أدهم ذكر أهمّ أمرين يقلقان ابن آدم ، وهما الأجل والرزق ، وقد حسم الله أمرهما فجعلهما بيده وحده ، وعلى هذا فالمسلم إذا ما أصابه همّ أو غمّ لجأ إلى مفرج الكرب فنادى من أعماق قلبه: " **يا حيّ يا قيّوم ، برحمتك أستغيث**"(رواه الترمذيّ)، والمسلم يشعر بمعيّة ربّه في جميع أحواله، ولسان حاله:

يامنتهى الآمال أنت كفلتني وحفظتني
وعدا الزمان عليّ كي يغتالني فمنعتني
فانقاد لي متخشّعاً لمّا رآك نصرتني
وكسوتني ثوب الغنى ومن المذلّة صنتني
فإذا سكتّ بدأتني وإذا سألت أجبتني
وإذا شكرتك زدتني فمنحتني وبهرتني

ومن أسباب الهموم أنّ كثيراً من الناس ينظر إلى ما ينقصه من متع الدنيا ؛ فترى لسان حاله: ينقصنا كذا ، وينقصنا كذا وكذا، وكان أولى به أن ينظر إلى النعمة الموجودة قبل أن ينظر إلى النعمة المفقودة. يروى أنّ أحدهم شكا فقره إلى واحد من أولي البصائر ، وأظهر شدّة غمّه ، فقال له: أيسرّك أنّك أعمى ، ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال :لا . قال: أيسرّك أنّك أخرس ولك عشرة آلاف؟ قال: لا. قال: أيسرّك أنّك مبتور اليدين والرجلين ولك عشرون

ألفاً؟ قال: لا. قال: أيسرّك أنّك مجنون ولك عشرة آلاف...؟ فقال :لا. فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً ؟!

وممّا يجلب الهموم عند كثير من الناس أن الواحد منهم يتخيّل أنّه وحده المبتلى ، وأنّ غيره خلو من الهموم، وما درى المسكين أنّ الأمر كما صوّره الشاعر:

لكلّ شجون في الحياة كثيرة ولكن يواري عن سواه شجونه

وكلّ امرئ يبكي لبلواه غابطاً فتى مثله باكي الفؤاد حزينه

ولم يدر إنسان بآلام غيره فهم مثل ما يبدي الجوى يكتمونه

وكلّ ينادي نفسه في خلائه بأنّ جميع الناس تسعد دونه

فالهموم عامّة ؛ والبلايا إذا عمّت هانت ، وكما قيل : " من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته". يقول أحدهم: (كاد القلق يبدّدني هباء ؛ لأنّ قدميّ افتقدتا حذاء حتّى رأيت منذ يومين شخصاً بلا قدمين فتذكرت نعمة الله عليّ) ، ولعلّ في قصّة مأتم الإسكندر الأكبر عظة وأيّة عظّة ، فقد أوصى أمّه أن يكون مأتمه احتفالاً مفعماً بالفرح والسرور، يقدم فيه ما لذّ وطاب من الطعام والشراب ، على خلاف المألوف ، ولكن شرط الدعوة ألا يشارك في الاحتفال مبتلى فلم يحضر أحد ، وقد أراد الإسكندر أن يطيّب خاطر أمّه المبتلاه ، ويقول لها: ليس في الكون سعيد واحد.

كذلك فإنّ ممّا يجلب الهمّ عند الإنسان عدم الشبع من حظوظ الدنيا ، فإذا ما وصل إلى غاية طمع بما هو أكبر منها، والنفس تشتهي ، فإذا أعطيت شهوتها تمادت ، وطلبت سواها ، و"الشهوة -كما جاء في وصايا لقمان- كامنة في القلب كمون النار في الحجر ؛ إن قدح أورى ، وإن ترك توارى"؛فصاحب العمارة يبغي لها أختاً ، وصاحب المليون يبغي له أخاً ، بل قل: إخوة ،وهكذا... وهو دوماً ينظر إلى من هم أعلى منه ، وكان أجدر به أن ينظر إلى من هم دونه ؛ فهو أدعى إلى راحة النفس ، وحديث النبيّ ﷺ واضح الدلالة في هذا الشأن فهو يقول:" **انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم** "(رواه مسلم)، ولو نظر الإنسان إلى الأمور نظرة واقعية لأدرك أنّ

الناس متقاربون في حظوظ الدنيا ؛ ذلك أنّ كثير الدنيا قليل،وكلّه عرضة للزوال ، وقلّ أن يحصل المرء على كلّ ما يتمنّى . هذا الشافعيّ يذكرمن نعم ربّه عليه فيقول:

أمتُّ مطامعي فأرحت نفسي فإنّ النفس ما طمعت تهون

كذلك فمّما يجلب الهمّ جهل بعض الناس بحقيقة الدنيا ؛ فالدنيا لها وجهان : وجه باسم ووجه عابس ، وما أسرع أن يتقلّب الوجهان، فيصبح الباسم عابساً والعابس باسماً ، وقد وفّق ابن عبد ربّه لّما قال في وصفها:

ألا إنّما الدنيا نضارة أيكة إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب

وعلى هذا فمن تصوّر الدنيا صفواً من الآلام والأكدار فهو يخالف منطق الدنيا ، وإذا كان في الدنيا ميلاد ففيها ممات ، وإذا كان فيها غنى ففيها فقر ، وإذا كان فيها لقاء ففيها فراق ، وهكذا... وقد أصاب القائل:

ثمانية تجري على المرء دائماً ولا بدّ يوماً أن يلاقي الثمانية

سرور وحزن واجتماع وغربة وعسر ويسر ثمّ سقم وعافية

والأمر المرعب في الدنيا أنّ النقمة قد تكون مخبوءة فيما يتوهم المرء أنّه نعمة " فربّ امرئ حتفه فيما تمناه"، " والإيم (الأفعى) ثار على الجاني من الزهر"؛ ولذا فإنّ العارفين لا يأمنون الدنيا ، وهم منها على حذر . هذا سفيان الثوريّ ـ رحمه الله ـ وهوالعالم الزاهد يقول: "**ما أعطي رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له: خذه ومثله حزناً**" ، وبالمقابل قد يكون في البليّة عطيّة، وفي المحنة منحة ؛ وقد يكون في فوت شيء خير كثير "**فربّما صحّت الأجسام بالعلل**" ، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:216) ، ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (النساء:19).

ومّما يجلب الهمّ عند الناس أن يتصوّروا أن المحن حطّت بكلكلها فلن تزول ؛ وهذا يخالف الواقع ،وحياة الأنبياء والمرسلين خير دليل ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ (يوسف:110)، وكما قيل:" **إنّ الحبل إذا اشتدّ أنقطع**"،"**وغيوم**

الـنفس تبـدو في ثناياهـا النجـوم" وكـم مـن مصـيبة اسـتحكمت حلقاتهـا ،ثـمّ جـاء مـن الله الفرج والمخرج! ، ورائع قول ابن النحويّ:

اشتدّي أزمة تنفـــــرجي قـــــد آذن ليلك بالبلج

وقد وافق الواقع من قال:

وكم لله من لـــــطف خفيّ يشقّ خفاه عن فهم الذكيّ
وكم يُسرٍ أتى من بعد عسرٍ ففَّرج كربةَ القلبِ الشجيّ
وكم أمرٍ تضيق به صبـــاحا فتأتيك المسرّة بالعـــشيّ
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحدِ الفردِ العـليّ

ومـن الأشـياء الجالبـة للـهموم أنّ بعـض النـاس يـبني آمـالاً كـبيرة علـى شـيء ،كـأن يعـوّل علـى صـفقة تجاريّـة ، أو وفـاء صـديق ،أو تفـوّق ابـن...،ثـمّ يخيـب ظنّـه ، و تلازمـه الهمـوم ،وقـد ينهـار عنـدما تـأتي الأمـور علـى غـير المـأمول، وتجـارب الحيـاة علّمتنـا ألا يبـالغ الإنسـان في توقّعاتـه ؛ فكلّ شيء عرضـة للفشـل ، ومـن تخيّـل كـلّ النـاس ملائكـة فسـتنهار أحلامـه، ومـن وثـق بكـلّ أحـد فسيبكي يوماً على سذاجته...

وبعـد، فهـذه بعـض الأسـباب الـتي تجلـب الهمـوم ، وبعـض مـا أحسـبه مخلّصـاً منهـا ، والله أسـأل أن ترفـرف السـكينة بأجنحتهـا فـلا يبقـى في الأرض شـقيّ ولا مهمـوم، ولا ريـب أنّـه كـان حكيمـاً من قال في دعائه:" اللهمّ اجعل الدنيا تحت أقدام الحمقى ، وامنحني قلباً غير مضطرب".

ما التهاب الكبد الفيروسي

هو التهاب فيروسي، يصيب خلايا الكبد، ويعمل على تدميرها وإتلافها، وقد يؤدي إلى إصابة الكبد بمرض التشمع، وتحويل هذه الخلايا إلى خلايا سرطانية.

أنواع التهاب الكبد:

1. التهاب الكبد من نوع (A)

وهو أكثر أنواع التهاب الكبد انتشاراً وأقلّها خطورة، وعادة ما يصيب صغار السن، وينتقل عن طريق الأمعاء، وله علاقة بمستوى النظافة البيتية والبيئية.

طرق العدوى:

- ✓ تلوث الأيدي ببراز شخص مصاب.
- ✓ تلوث مياه الشرب بالفضلات الآدمية عن طرق المجاري.
- ✓ نادراً ما ينتقل هذا الفيروس عن طريق الدم الملوث.

عوارض المرض:

يظهر المرض على شكل أعراض الإنفلونزا، واضطراب معوي مصحوب بارتفاع درجة الحرارة مع فقدان للشهية وغثيان وألم في البطن، ثم تبدأ مرحلة الاصفرار بالجلد والعيون.

فترة الحضانة :

تمتد من بضعة أيام وحتى ثلاثة أشهر، وعادة ما ينتهي المرض بدون ترك أية عوارض دائمة، بل يشكل

مناعة دائمة لدى المصاب.

2. **التهاب الكبد من نوع** (B):

اكتشف هذا المرض عام 1965م ، وهو من أكثر الأمراض المزمنة انتشاراً في العالم، إذ يوجد أكثر من 350 مليون إنسان حامل للمرض.

طريقة العدوى:

- ✓ عن طريق قاذورات الولادة من الأم إلى جنينها.
- ✓ عن طريق نقل الدم.
- ✓ عن طريق المجامعة الجنسية.
- ✓ عن طريق استخدام أدوات الحلاقة والأسنان.
- ✓ عن طريق استخدام الإبر الملوثة.

فترة الحضانة:

فترة الحضانة لهذا الفيروس تمتد إلى 180 يوماً.

عوارض المرض:

نفس عوارض التهاب الكبد الفيروسي من النوع (A)، ولكنه يمتد بصورة مزمنة أكثر، وقد يتحول إلى الإصابة بسرطان الكبد.

لأن هذا الفيروس يسبب وفاة أعداد كبيرة سنوياً، فقد تم إدخال تطعيم إجباري له لكل الأطفال، وعلى مدى ثلاث جرعات تبدأ منذ الولادة، كما ويتم فحص الحوامل من الزيارة الأولى للتأكد من خلوهن من هذا المرض.

درهم وقاية:

لا يوجد علاج لهذا المرض والأفضل الوقاية منه والابتعاد عن مخاطره الجمة، فبادر أخي/ أختي المواطن/ة إلى الإتصال بعيادتك الطبية لمعرفة التفاصيل عن هذا المرض.

مفتي محافظة رام الله والبيرة يشارك في إحياء أمسية رمضانية

رام الله: شارك فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله ـ الوكيل المساعد / مفتي محافظة رام الله والبيرة ـ في إحياء أمسية رمضانية في بيت ساحور بدعوة من الديوان الثقافي الساحوري ، وفي كلمة ألقاها شكر فضيلته الديوان الثقافي على إعداده هذه الأمسية الرمضانية المباركة التي تهدف إلى إبقاء حلقة التواصل الفكري والثقافي بالمدينة، وهي تعبير رمزي حقيقي لعمق الصلة بين أبناء الوطن الواحد على اختلاف مذاهبهم وفئاتهم وأفكارهم ودياناتهم، وهذا نموذج للتعايش الطيب في هذا الوطن.

مفتي محافظة رام الله والبيرة يشيد بجهود الشرطة في حماية ممتلكات المواطنين

رام الله : أشاد فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله الوكيل المساعد / مفتي محافظة رام الله والبيرة ـ بجهود قوات الشرطة والمباحث العامة في الحفاظ على الأمن والاستقرار وعلى ممتلكات المواطنين.

وشكر فضيلته قوات الشرطة على ضبطها لصاً متلبساً وهو يسرق مصلين في عدة مساجد بمدينة رام الله، مؤكداً أن هذه النتيجة تصب في صالح الاستقرار والأمن، وفي بث الطمأنينة في نفوس الناس.

فضيلة الشيخ عمار بدوي يصدر كتابين جديدين

طولكرم: صدر كتابان جديدان للشيخ عمار توفيق بدوي - مفتي محافظة طولكرم - الأول بعنوان "الفاصلة القرآنية شكلاً وبلاغةً" وهو من إصدار مركز البحوث والدراسات الإسلامية والمخطوطات التابع لأكاديمية القاسمي.

ويتكون الكتاب من ستة مباحث تعرض فيها الكاتب للبناء اللغوي والبياني والأدائي للفاصلة وهي آخر جملة في الآية، كما تعرض إلى الأشكال الفنية للفاصلة والايقاع التصويري، وعلاقتها بالإعجاز البياني. وبداية دخول مبحث الفاصلة إلى الدراسات البيانية. واستقصى الباحث صورها البلاغية من كتب اللغة والأدب العربي وعلوم القرآن، وأكثر من الأمثلة وتحدث عن استعمال الفاصلة في الشعر والنثر والاصطلاح القرآني ويقع الكتاب في 160 صفحة من القطع المتوسط .

و الكتاب الثاني " التذوق الأدبي لورد السحر" وهو من إصدار مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالتعاون مع المركز الإعلامي لطريقة القاسمي الخلوتية الجامعة، والكتاب في أصله بحث مقدم لمؤتمر التصوف في فلسطين بين الماضي والحاضر والورد للعلامة الصوفي الشاعر مصطفى البكري الصديقي من علماء القرن الثاني عشر الهجري.

وتناول الباحث دراسة موجزة عن العلاّمة البكري وتطرق إلى الأوراد، وأهميتها، وتأصيلها الشرعي، وتميز ورد السحر بحلاوة البيان، وجمال العبارة، وعرف بورد السحر وأهميته عند التصوف.

وأعقب ذلك دراسة واسعة تناولت التذوق الأدبي والجمالي لهذا الورد من خلال دراسة تراكيبه البيانية، وظلالها الروحية، والجمالية، وأظهر ما في الورد من سحر الكلمة، ورقة العبارة، وعذوبة الايقاع، وعمق الأثر النفسي، فالورد قطعة أدبية راقية، وجذّابة روحية متألقة.

مفتي الخليل الشرعي يحث المواطنين على التعاون مع الفريق الوطني للتعداد

الخليل : أصدر الشيخ محمد ماهر مسودة ـ مفتي الخليل ـ بيانا حَثّ فيه المواطنين في محافظة الخليل على التعاون مع طاقم الفريق الميداني التابع للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني الذي ينفذ مشروعاً وطنياً ضخماً لتعداد السكان والمساكن والمنشآت 2007 م.

وأضاف إن ما تقوم به لجان التعداد التابعة للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني هي عملية ضرورية لتوفير البيانات والمعلومات اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وللتخطيط لما فيه خير هذا الشعب المرابط،فعملية التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت عملية إحصائية ضخمة يقوم بها أبناؤنا الذين حشدوا لها طاقات ضخمة، ومكثوا ما يزيد على ثلاث سنوات في الإعداد لها، فكلما كانت المعلومات صحيحة ودقيقة فإنها تكون الصورة الحقيقية المعبرة عن كل ما يتعلق بالسكان من عدد وتوزيع وعمر وجنس وتعليم وعمل وعدد مساكن وأنواعها وحاجتها للخدمات ،وأعداد المنشآت الاقتصادية العاملة في مختلف الأنشطة الاقتصادية.

ودعا أهالي محافظة الخليل للتعاون مع عملية التعداد التي تتم كل عشر سنوات مرة ويتوقف عليها الكثير من أمور الإعداد لمافية خير هذا الشعب.

والجدير بالذكر أن الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الفتوى الأعلى، دعا المواطنين إلى التعاون مع فرق التعداد بناء على القاعدة الشرعية التي تنص:"ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

مفتي أريحا : قيام قوات الأمن بمهامها واجب عقدي

أريحا: أكد فضيلة الشيخ محمد أبو الرب ـ مفتي أريحا والأغوار ـ أن قيام أفراد الأجهزة الأمنية و قوات الأمن الوطني بمهماتهم على أكمل وجه واجب تفرضه عليهم العقيدة الإسلامية الحنيفة. جاء ذلك في محاضرة للمفتي في الأكاديمية الفلسطينية للعلوم الأمنية ، تحدث فيها عن واجبات أفراد أجهزة الأمن و الأخلاق والقيم التي يجب أن يتمتع بها العاملون في هذا المجال. و أوضح الشيخ أبو الرب للطلبة الملتحقين ببرنامج الدبلوم المتخصص في العلوم الأمنية، بأن قيام المسلم بأداء وظيفته بأمانة وإخلاص هو جزء من العقيدة، وهو عبادة بحد ذاته، وأن عمل أجهزة الأمن الحساس يستدعي منهم توخي الدقة والموضوعية والصدق والحرص على العدل والإنصاف، وفي رده على أسئلة الطلبة حول ما يجري في غزة، أكد المفتي أبو الرب أنه لا يجوز استخدام المساجد لأغراض سياسية أو للتحريض، مبيناً أنها دور عبادة وبيوت لله عز وجل وهي لعامة المسلمين، وليس لأحد أن يحتكر الإسلام أو يدعي أنه خليفة وظل لله على الأرض، وأن من يقتل مسلماً أو يهدر دمه بغير حق فقد كفر وارتكب إثماً وفاحشة عظيمة، منوهاً إلى أن دم المسلم على المسلم حرام، وأن إثارة الفتنة داخل الصف الوطني أمر خطير وضار بالمشروع الوطني ولا بد أن يعاقب مثيرو الفتنة و يؤخذ على أيديهم .هذا وكان الدكتور نايف جراد القائم بأعمال رئيس الأكاديمية قد استقبل فضيلة المفتي ورحب به أحر ترحيب، مؤكداً على الدور المهم للعلماء والأئمة ورجال الدين في تربية المواطن وأفراد الأجهزة الأمنية وتعليمهم، وفي التكامل مع المؤسسات الأكاديمية في رفع مستوى الوعي والمعرفة وبناء الإنسان والمواطن الصالح.

مفتي محافظة جنين يشارك في ورشة عمل حول الفلتان الأمني

جنين: قدم فضيلة الشيخ محمد سعيد صلاح - مفتي محافظة جنين - ورقة عمل بعنوان " الفلتان

الأمني أسبابه وطرق معالجته" بين فيها كيف بدأ الفلتان الأمني وما هي أنجع الطرق لمعالجته والحد منه وذلك خلال ورشة عمل في بلدية جنين بدعوة من لجان المرأة في شهر تشرين أول.

ومن ناحية أخرى ناشد فضيلته المجتمع الفلسطيني إلى ضرورة حماية المرأة الفلسطينية مبيناً عدم جواز القتل على خلفية الشرف، لأن الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وكذلك العقوبات، وأن كلاً منهما مكلف شرعاً بتحمل مسؤولية تصرفاته كاملة، وأن القاتل على خلفية الشرف يعاقب بالقصاص شرعاً، ولا يجوز لأي شخص أن ينصب نفسه قاضياً وشاهداً وحاكماً.

كما أعطى فضيلته دروساً رمضانية في مساجد جنين المركزية، وألقى خطبة عيد الفطر المبارك في العراء بين فيها جواز الصلاة في العراء وضرورة وحدة أبناء شعب فلسطين ، متمنياً عودة القوس إلى باريها في قطاع غزة، جدير بالذكر أن فضيلته شارك في حل العديد من النزاعات.

مفتي محافظة نابلس يلقي الخطب الدينية

نابلس: ألقى فضيلة الشيخ أحمد خالد شوباش ـ مفتي محافظة نابلس ـ خطباً ودروساً دينية في مسجد مصعب بن عمير تحدث فيها في مواضيع ذات صلة بالصيام "منها سلوكيات خاطئة في رمضان، القرآن ونزوله في رمضان، غزوة بدر"، بالإضافة إلى توضيح العديد من المسائل الفقهية، وألقى فضيلته محاضرات عدة لأفراد الأمن الوطني في مواقع تواجدهم في المحافظة، ولمجموعة من الهيئة العامة لجمعية الدفاع عن الأسرة ، ركز فيها على أحكام رمضان وحكم الصيام.

مما يجدر ذكره أن لفضيلته لقاءات إذاعية محلية عدة تحت عنوان " لو كنتم تعملون" شرح فيها وجهة نظر الشرع في تفسير تصرفات دينية كالصلاة والصوم والاغتسال والوضوء وأمور من الطب النبوي وأحكام العيد وصدقة الفطر، وكعادته أصدر العددين الرابع والخامس الخاصين برمضان وشوال من نشرة القسط والوسط تحدث فيهما عن أحكام الإسلام بصورة مبسطة وموضوعات أخرى.

من فعاليات دار الفتوى بيت لحم

بيت لحم: قام فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة - مفتي محافظة بيت لحم - بزيارة للعديد من المدارس الثانوية في المحافظة، وذلك بمناسبة شهر رمضان المبارك الذي صادف أيضاً بدء العام الدراسي الجديد، كما ألقى فضيلته الدروس والمحاضرات في مساجد المحافظة ، وشارك في بعض موائد الإفطار الجماعية وعلى رأسها دعوة فخامة الرئيس أبو مازن، وكذلك الإجابة عن كثير من الأسئلة والاستفسارات التي تهم الجمهور.

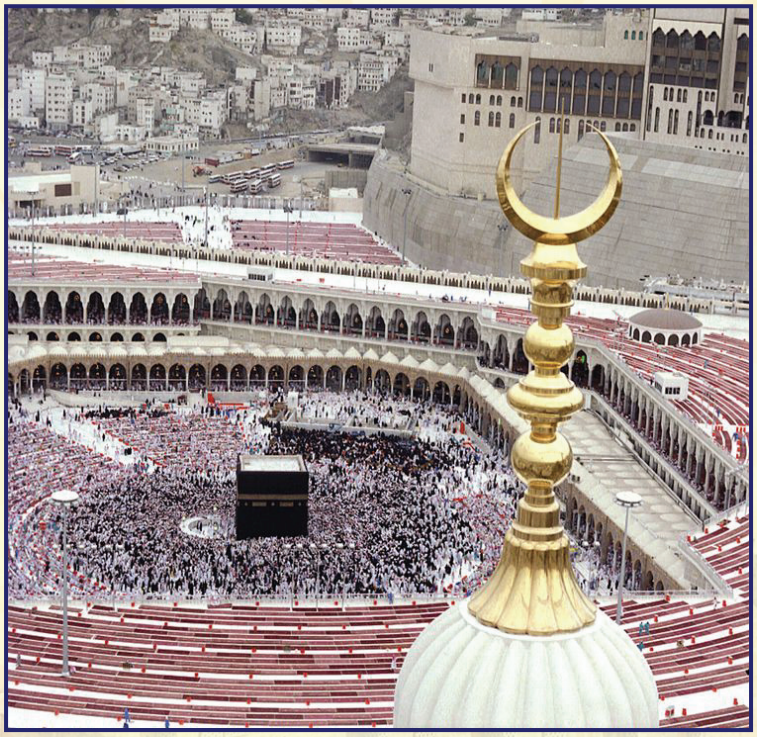

من أخبار مكتب المفتي العام

إعداد : الأستاذ / مصطفى أعرج / دار الفتوى

المفتي العام يشارك في المؤتمر الخامس لفقهاء الشريعة

المنامة: شار ك سماحة الشيخ محمد أحمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ـ رئيس مجلس الفتوى الاعلى ـ في المؤتمر الخامس الذي عقده "مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا" في المنامة عاصمة مملكة البحرين، حيث قدم سماحته ورقة عمل حول "العمل في المصارف الربوية" وشارك في المؤتمر العديد من علماء العالم.

ويهدف هذا المؤتمر إلى بيان حكم الشريعة في المهن والوظائف التي تشوبها بعض المحرمات خارج ديار الإسلام، والتقى سماحته بالسفير الفلسطيني السيد أحمد رمضان وبالجالية الفلسطينية في البحرين ، كما التقى عدداً من المسؤولين البحرينيين، والوفود المشاركة، حيث أطلعهم على الأوضاع والمعاناة التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني ومقدساته.

المفتي العام يدعو إلى إنقاذ المدينة المقدسة
خلال ترأسه وفد فلسطين إلى الملتقى الدولي لنصرة القدس

اسطنبول -إسلام بول - : ترأس سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - خطيب المسجد الأقصى المبارك - وفد فلسطين إلى " الملتقى الدولي لنصرة القدس" ، الذي عقد في مدينة اسطنبول - إسلام بول - في تركيا، وأطلع سماحته الحضور على الأوضاع الصعبة التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني بعامة وأبناء القدس والمقدسات بخاصة. وألقى سماحته كلمة في الملتقى دعا فيها إلى إنقاذ المدينة المقدسة. وضم الوفد العديد من الشخصيات الدينية والوطنية، وشارك أعضاء الوفد في عدد من اللقاءات والمحاضرات وورشات العمل، كما التقى العديد من الوفود المشاركة وأطلعهم على مجمل الأحوال التي يمر بها الشعب الفلسطيني، وبخاصة في ظل الهجمة الشرسة ضد الأرض والإنسان الفلسطينيين.

احتفال رسمي حاشد بافتتاح ضريح الرئيس الراحل الشهيد ياسر عرفات

سيادة الرئيس محمود عباس : نحن على العهد في استمرار المسيرة

لإعادة رفات الشهيد الخالد" أبو عمار" إلى القدس التي أحب

رام الله: افتتح سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس " أبو مازن" خلال احتفال رسمي حاشد ضريح الرئيس الراحل الشهيد ياسر عرفات ـ رحمه الله ، وأكد سيادته على الاستمرار في المسيرة لإعادة دفن جثمان الشهيد الخالد " أبو عمار" في القدس التي أحبها، وقد أدى سيادته والحضور صلاة الظهر، وأمّ الصلاة سماحة الشيخ محمد أحمد حسين ـ المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / خطيب المسجد الأقصى المبارك ـ وقد أدى الصلاة بجانب الرئيس دولة الدكتور سلام فياض ـ رئيس مجلس الوزراء وعدد من أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والوزراء وأعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح وشخصيات دينية ووطنية وممثلو الفعاليات الشعبية.

خلال مسيرة حاشدة في القدس ضد سياسات بلدية الاحتلال بحق الفلسطينيين المقدسيين

المفتي العام يطالب سلطات الاحتلال لوقف أعمال التهويد في القدس

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ـ رئيس مجلس الفتوى الاعلى - وعدد من العلماء ورجال الدين المسيحي وبعض أعضاء الكنيست العرب وعدد كبير

من الشخصيات الوطنية وأعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني في مسيرة حاشدة جرت في القدس ضد سياسات بلدية الاحتلال في المدينة المقدسة؛ التي تمارس أبشع أنواع القهر ضد المواطنين العرب من خلال فرض الضرائب وهدم البيوت ...إلخ.

وقال سماحته: إن القدس عربية إسلامية وإننا لن نتخلى عنها أبداً، وطالب بوقف جميع الأعمال التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد المواطنين الفلسطينيين المقدسيين، وناشد سماحته الدول العربية والإسلامية العمل على دعم صمود الفلسطينيين وثباتهم في كامل الأراضي الفلسطينية بعامة والقدس بخاصة.

تحت رعاية سماحة المفتي العام

دار الفتوى تعقد ورشة عمل خاصة بتصنيف الفتاوى ونشرها

القدس: تحت رعاية سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ـ رئيس مجلس الفتوى الاعلى ـ عقدت دار الفتوى والبحوث الاسلامية في مكاتب الادارة العامة ورشة عمل خاصة بجمع الفتاوى وتصنيفها ونشرها ،وذلك بحضور كل من فضيلة الوكيل المساعد لدار الفتوى والبحوث الاسلامية الشيخ إبراهيم عوض الله وأصحاب الفضيلة المفتين في محافظات الوطن.

وأكد سماحة المفتي العام الشيخ محمد حسين على مكانة الفتوى والمفتي وعلى الجهود الكبيرة التي يبذلها المفتون في بيان الأحكام الشرعية للناس وتفقيههم بأمور دينهم ، وبين أن دار الفتوى سوف تعقد المزيد من الورشات والدورات الخاصة بأعمال دور الفتوى.

سماحة المفتي العام يستقبل السفير التركي

استقبل سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية ـ رئيس مجلس الفتوى الأعلى ـ في مكتبه سعادة السيد إرجان أوزر سفير جمهورية تركيا في القدس.

وشرح سماحته لسعادة السفير الأوضاع الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني بعامة وأبناء القدس بخاصة، مبيناً أن سلطات الاحتلال زادت من ممارساتها التعسفية ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته بشكل ملحوظ، مستغلة الانقسام الفلسطيني الداخلي ، كما اطلع سماحته الضيف على آخر ما وصلت إليه الحفريات الخطيرة التي تقوم بها سلطات الاحتلال تحت أساسات جدران المسجد الأقصى المبارك، وأسفل الأحياء العربية في البلدة القديمة ، وفي تلة باب المغاربة ، وبين الصورة القاتمة لجدار الفصل العنصري الذي ضيق الخناق على الفلسطينيين وحال دون وصولهم إلى القدس.

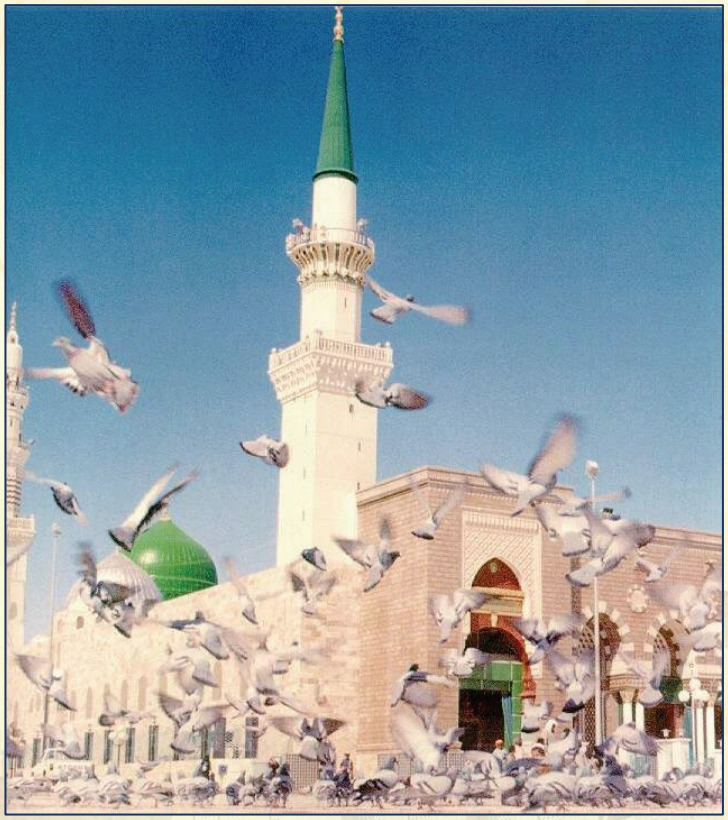

السؤال الأول : أطلق اسم (إيليا) على القدس ، إمبرطور :

1. فارسي 2. يوناني 3. روماني 4. كلداني

السؤال الثاني : نزل قوله تعالى : (وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى) في :

1. الرسول ﷺ 2. أبي بكر الصديق 3. عمر بن الخطاب 4. عثمان بن عفان

السؤال الثالث : الصحابي الذي قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإبنه عبد الله بشأنه :

"أنه كان أحب لرسول الله ﷺ منك ، وأن أباه كان أحب لرسول الله من أبيك "

1. عبد الله بن عمر بن الخطاب 2. عبد الله بن أبي بكر الصديق 3. زيد بن حارث 4. أسامة بن زيد

السؤال الرابع : أطلق وصف (البتول) على :

1. مريم بنت عمران 2. خديجة بنت خويلد 3 .امرأة فرعون 4. فاطمة بنت الرسول ﷺ

السؤال الخامس : يطلق على المرأة التي ترضع غير ولدها :

1. ثيب 2.ظئر 3. ساقية 4. رؤوف

السؤال السادس : أطلق اسم القتال على سورة :

1. الأنفال 2. التوبة 3. محمد 4. البقرة

اجابة المسابقة للعدد الرابع والسبعين :

السؤال الأول : تسع سنوات .

السؤال الثاني : فاطمة بنت محمد بنت عبد الله .

السؤال الثالث : رقية رضي الله عنها .

السؤال الرابع : خمسون عاماً .

الفائزون :

1. أنس سمير عواد / طولكم : 30 ديناراً
2. طارق أحمد محمود الدبس / القدس : 20 ديناراً
3. أحمد وجدي مثقال / رام الله : 10 دنانير .

شروط المسابقة

ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء ، العدد السادس والسبعون

مجلة الإسراء

مديرية الإعلام والبحوث الإسلامية

دار الفتوى والبحوث الإسلامية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين

ورقم الهاتف إن وجد وكتابة الإجابات بخط واضح

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى : 30 ديناراً أردنياً.

الجائزة الثانية : 20 ديناراً أردنياً.

الجائزة الثالثة : 10 دنانير أردنية.

كوبون مسابقة الإسراء

العدد السادس والسبعون

الاسم : .....

العنوان : .....

رقم الهاتف : .....

ها نحن نودّع السنة الهجرية هذه، ونستقبل سنة هجرية جديدة، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يحتفلون بهذه المناسبة، وقد حفلت كتب السيرة بتدوين حوادث الهجرة المباركة، وتبارت أقلام الكاتبين في ذكر المعاني البليغة والعبر التي انطوت عليها رحلة كتبت للبشرية تاريخًا مجيدًا وعصرًا زاهرًا جديدًا، فكانت نهضة عظيمة لم تعرف لها البشرية مثالاً سبقها.

إنّ في حياة رسول الله أحداثًا حوّلت مجرى التاريخ وأحدثت أعظم نقلة وأعقبت أقوى الآثار، تبوّأت منها الهجرة النبوية المباركة مكانًا عليًّا ومقامًا كريمًا، حيث كانت بحقٍّ فتحًا مبينًا ونصرًا عزيزًا ورفعة وتمكينًا وظهورًا لهذا الدّين، وهزيمةً وصَغارًا للكافرين.

ونتوقف عند قصة الهجرة النبوية المباركة هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق من مكة المكرمة إلى المدينة المنوّرة التي نوّرها الله بنور الحبيب المصطفى حيث اليقين بمعيّة الله تعالى لعباده المؤمنين الصّادقين، ذلك اليقين الرّاسخ الذي لا تزعزعُه عواصف الباطل، يستبينُ ذلك جليًّا في حال هذين المهاجرين الكريمين حين عظُم الخطب وأحدق الخطرُ ببلوغ المشركين بابَ الغار الذي كانا فيه، وحينَ قال أبو بكر رضي الله عنه: والله يا رسول الله، لو أنّ أحدهم نظر إلى موضع قدميه لرآنا، فقال رسول الله قولته التي أخذت بمجامع القلوب. ((يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما)) ، وأنزلَ سبحانه مصداق ذلك في كتابه، أنزل قوله :﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة:40].

إنّ هذه الهجرة المباركة وعبرها جديرة بأن تبعثَ فينا اليومَ ما قد بعثته بالأمس من روح العزّة، وما هيّأته من أسباب الرِّفعة وبواعث السموّ وعوامل التّمكين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:128].

لقد حاول أعداء الإسلام منذ عهد رسول الله ﷺ أن يقضوا على الدعوة المحمدية وأن يُثيروا الفتن بين المسلمين، ولكن الله ألّف بين قلوب عباده المؤمنين فنصرهم وقد نصروه، وأعزّهم وقد آمنوا به وبرسوله ونصروا دينه وتمسكوا بالحق رغم الاضطهاد والبلاء والفقر.

إنّ بهجتنا بهذه الذكرى العظيمة تدفعنا إلى مضاعفة الجهد في سبيل نشر دين الله، وإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمّد رسول الله بالتعلّم والتعليم والقدوة والاتعاظ .